الأستاذ الدكتور
عبد الرحمن العدوى
عضو مجمع البحوث الإسلامية

مواقف إسلامية

- من مواقف الرسول ﷺ
- من مواقف أمهات المؤمنين
- من مواقف الصحابة
- من مواقف الصحابيات
- من مواقف المؤمنين

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

الناشر المكتبة الأزهرية للتراث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله
كثيراً ﴾

﴿ من المؤمنين رِجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا
تبديلا ﴾

صدق الله العظيم

مواقف إسلامية

أ.د عبد الرحمن العدوى

المـقـدمـة

الحمد لله الذى هدى عباده المؤمنين بنور الإسلام وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين والهادى برسالته إلى صراط الله المستقيم والذى ربى أتباعه على العزة والشرف والكرامة ومواقف الرجال، فما ضعفوا وما استكانوا، وما فتنتهم الدنيا عن الآخرة فعمروا كليهما بمنهج الله الذى جاء فى كتابه وسنة رسوله، فارتقت بهم الحياة، وبهرت حضارتهم جميع خلق الله، وصاروا فى موضع الريادة والقيادة يعلمون الناس الأمانة والعدل والتضحية فى سبيل الحق والرغبة فى إسعاد البشرية والنهوض بها من كبواتها.

وقد سجل لهم التاريخ بطولات نادرة ومواقف شريفة حاسمة وآراء سديدة نيرة فقد أنار الله بصائرهم بما عرفوا من الحق وعملوا به والتزموا سبيله.

وإن كان للمسلمين أن يفخروا بأمجاد آبائهم الأولين فإن عليهم واجب دراسة مواقفهم وتصرفاتهم النابعة من عقيدتهم الصادقة وتمسكهم بأوامر دينهم ثم إن عليهم أن يتخذوهم قدوة وأسوة وعلى رأسهم رسول الله ﷺ الذى قال فيه ربه: ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾.

وهذا الكتيب الصغير في حجمه الكبير فى موضوعه يقدم نماذج طيبة ومواقف إسلامية لأولئك الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ليكون أمام

الشباب المسلم قبس من نور النبوة وعمل صالح من المؤمنين الصادقين ينير لهم طريقهم فى الحياة ويأخذ بيدهم إلى الأحسن والأمثل من الأخلاق والعادات والتصرفات والمواقف، حتى لا يضيعوا فى زحام الحياة وتحت ركام الأفكار الوافدة والملهيات الفاسدة، وحتى يكون لديهم طوق نجاة يعاونهم على السباحة فى معترك الحياة ويصل بهم إلى شاطىء السلامة لأنفسهم وأمتهم والناس أجمعين.

نسأل الله الكريم أن ينفع عباده بهذا الجهد المتواضع وأن يجعله في موازين أعمالنا الصالحة فإنه لا يضيع أجر المحسنين ولا يرد يد السائلين الموحدين. وصلى الله وسلم وبارك علي رسول الله محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على دربهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ. د. عبد الرحمن العدوى

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

فى ربيع الأول ١٤٢٠ هـ يولية ١٩٩٩م

من مواقف الرسول ﷺ

فى الإسلام مواقف سياسية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد فإن الله تعالي لايكلف نفسا إلا وسعها، ولا يطالب عباده بما لايطيقون، ولذلك كان من رحمته بهم عفوه عمن اكره على كلمة الكفر فنطق بها وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن الله قد رخص له فى النطق بها إنقاذا لحياته المهددة ممن اكرهه وقد حدث ذلك لعمار بن ياسر؛ قال ابن عباس: أخذه المشركون وأخذوا أباه وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم.. فقتلت سمية وقتل زوجها ياسر وهما أول شهيدين فى الإسلام، وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله: «وكيف تجد قلبك» قال: مطمئن بالإيمان- فقال رسول الله ﷺ : «فإن عادوا فعد». قال العلماء: لما سمح الله عز وجل بالكفر به وهو أصل الشريعة عند الإكراه ولم يؤاخذ به، حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلها إذا وقع الاكراه عليها لم يؤاخذ به ولم يترتب عليه حكم، وقد نزل فى قصة عمار بن ياسر قول الله تعالى ﴿ **إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** ﴾ وهذا الموقف وأمثاله يعتبر من التقية التى أباحها الله للمسلم ليدفع عن نفسه ضررا لا يستطيع دفعه بغير ذلك، فيظهر الموافقة وهو ثابت الإيمان واليقين، مطمئن قلبه بذلك. وإظهار خلاف الواقع لدفع الضرر أو لجلب مصلحة دينية ضرورية مما أباحه الله لعباده، وقد فعله رسول الله ﷺ فى مواقف لابد فيها من التورية لتحقيق مصلحة المؤمنين واخفاء المعلومات

عن أعدائهم، فكان ﷺ إذا أراد غزوة ورى بغيرها، وهذا من الكياسة فى شئون الحرب، وعندما جاء جيش المشركين فى غزوة بدر قام رسول الله بعملية الاستكشاف بنفسه ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وبينما هما يتجولان حول معسكر مكة إذا هما بشيخ من العرب سألاه وعرفا منه بعض الأخبار ثم قال الشيخ: من أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ : نحن من ماء . وانصرف عنه، وبقى الشيخ يتفوه: من أى ماء؟ أمن ماء العراق؟

وهكذا يعلمنا رسول الله ﷺ الإجابة المحتملة التى لاتفشى للمسلمين سرا ولا تفيد عدوا وهو موقف قد نسميه فى عصرنا بموقف سياسى.

النظر فى العواقب حكمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد

فقد بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يتجهزون لحربه وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحارث زوج رسول الله ﷺ، فخرج إليم رسول الله ولقيهم على ماء يقال له «المريسيع» وقاتلهم وهزمهم الله، وبينما رسول الله على هذا الماء اقتتل غلامان لتزاحمهما على الماء فصرخ أحدهما يا معشر الأنصار، وصرخ الآخر يا معشر المهاجرين. فغضب عبد الله بن أبى بن سلول رأس النفاق فقال: أوَقدْ فعلوها لقد صرنا وهم كما قال الأول: سمّن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. يريد أن الأنصار يخرجون المهاجرين من المدينة. وجاء إلى رسول الله من يخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال: مُرْ به عبّاد بن بشر فليقتله. فقال له رسول الله ﷺ: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟. ولما علم عبد الله بن أبى أن مقالته بلغت رسول الله ﷺ جاء إليه وحلف بالله ما قلت ولا تكلمت به وقال قوم من أصحابه لعل الذى نقلَ إليك قدوَهم ولم يحفظ ما قاله الرجل. وفضح الله هذا المنافق وأنزل على رسوله سورة «المنافقون» فى ابن أُبّى ومن كان على مثل أمره. وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى الذى كان من أمر أبيه وكان هذا الابن مؤمنا صادقا- فقال يا رسول الله: إن كنت تريد قتله فمرنى به أحمل إليك رأسه، فقال ﷺ: بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا، وعرف القوم أن ابن أبىّ كاذب حانث فى يمينه فساء رأيهم فيه وكانوا يرونه قبل

ذلك شريفا وجيها حتى إن الأنصار كانوا ينظمون له الخرز ليتوجوه عليهم ملكا قبل مجيء رسول الله ﷺ المدينة، فكان نفاقه حقدا على من يرى أنه استلبه ملكه. وساءت حاله بين قومه فكان إذا أحدث حدثا يؤاخذونه ويعنفونه، وقال رسول الله لعمر: كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله. لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته. قال عمر: والله قد علمت أن أمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري. إن موقف رسول الله من هذا المنافق، وموقف ابنه منه، لموقفان جديران باستجلاء موطن العظة والعبرة فيهما للسير على منهاجهما. والله الموفق.؛

الرسول يؤلف القلوب

الحمد لله والصلاة واسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن رسول الله ﷺ يعلم أصحابه والإنسانية كلها الرفق فى المعاملة مع الأصدقاء والأعداء على سواء، ويقول: «ما وجد الرفق فى شىء إلا زانه وما نزع الرفق من شىء إلا شانه» ويقول: «من حرم الرفق فقد حرم الخير كله». وهذا الذى يدعو إليه رسول الله ﷺ من حسن المعاملة ومواجهة المواقف بالرفق واللين، هو تطبيق عملى لأوامر الله تعالى فى قوله: ﴿**ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾.

وقد جاء من بين مصارف الزكاة الثمانية سهم المؤلفة قلوبهم الذين أسلموا ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم، والذين ترجى مؤازرتهم وانحسار شرهم، وهذا من حسن السياسة التى لا تتخذ العنف سبيلا إلى إسكات الأصوات والأنفاس.

ونعم سبيل الإسلام فى سماحته وحسن معاملته وأخلاقه الداعية إلى العفو عن المسىء والإحسان إليه. ففى الحديث الشريف: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

ومن مواقف الرسول ﷺ فى تاليف القلوب ما صنعه فى توزيع غنائم حنين، فقد نصر الله رسوله والمؤمنين على هوازن وثقيف الذين خرجوا للحرب بجميع أموالهم وأولادهم ونسائهم يحادون الله ورسوله، فلما

هزمهم الله وجعل أموالهم وأهليهم غنيمة للمسلمين، انتظر الرسول بضع عشرة ليلة لم يقسم الغنائم لعل هوازن وثقيف يأتون إليه مذعنين، ثم قسم الغنائم فأعطى المؤلفة قلوبهم عطاء من لا يخشى الفقر فأعطى أبا سفيان مائة من الإبل وأربعين أوقية من الفضة وأعطى ابنه يزيد وابنه معاوية مثل ذلك، حتى قال أبو سفيان : بأبى أنت وأمى يا رسول الله، لأنت كريم فى الحرب وفى السلم جزاك الله خيرا. وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ثم مائة ثم مائة وأعطي رجالا من المؤلفة قلوبهم إبلا ومالا كثيرا حتى جمع الله بهم القلوب علي محبة الإسلام ونصرة الله ورسوله وصار هؤلاء الذين تألفهم من خير جند الإسلام وقادة جيوش المسلمين.

حرمة المال العام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . وبعد

فإن الله تعالى وهو مالك الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، وهو الخالق الرازق المتفضل على عباده – جعل الأموال على قسمين : قسم يكسبه الإنسان بعمله وسعيه فيكون له حق حيازته والتصرف فيه وهو المال المملوك لفرد أو أفراد معينين ويطلق عليه اسم « المال الخاص » وقد أضاف الله هذه الأموال إلى أصحابها فى آيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون** ﴾ .

وقسم آخر من المال هو ملك للجماعة كلها من غير تعيين أفراد بأشخاصهم واسمه فى الفقه الإسلامى « مال الله » ويكون فى المصالح العامة للأمة كلها وهى المصالح التى تعود عليها بالأمن والرخاء والتمكين فى الأرض، وحماية الأوطان من الأعداء، وأعداد كل ما تحتاج إليه الأمة من خدمات عامة، ووقاية من المرض والفقر والجهل ومن كل الموبقات والمهلكات . ويعبر عن هذا المال فى الاصطلاح الحديث « بالمال العام » ويتولى صيانة هذا المال، وانفاقه فى مصالح الأمة، وحمايته من الاعتداء عليه أولو الأمر الذين ولاهم الله أمر الأمة وأعطاهم الأمر النافذ والسلطان الغالب . « فالمال العام » منه يتكون بيت مال المسلمين أو « الخزانة العامة » وموارده من الصدقات الواجبة فى أموال المسلمين ومن الموارد العامة، ومن

الغنائم والفيء والخراج والضرائب التى يقررها ولى الأمر لصالح الجماعة، ولهذا المال مصارفه التى لايجوز العدول عنها والتى ذكرنا بعضا منها وهى المصالح التى تعود بالخير على الأمة كلها، فليس لأحد أن يستولى على شيء من المال العام أو أن يأخذ منه غير ما يعطيه ولى الأمر له فى مقابل عمل يؤديه أو منفعة يقدمها للأمة أو مصلحة يقدرها الإمام ومن يأخذ شيئا من المال العام بغير هذا فهو خائن للأمانة مستوجب خزى الدنيا والآخرة. فقد بعث رسول الله ﷺ رجلا يجمع الزكاة، فلما جمعها وعاد إلى رسول الله . قال: هذا لكم، وهذا أهدى إلىّ. فغضب رسول الله ﷺ وصعد المنبر وقال: «ما بال العامل نبعثه، فيقول هذا لكم وهذا أهدى إلىّ، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه فينظر هل يهدى إليه شيء أولا؟» إن حرمة المال العام كحرمة المال الخاص أو أشد، وإن الذين يأخذون منه بغير حق يستكثرون من عذاب الله يوم لا ينفع دينار ولا درهم.

فتنة أطفأها الإيمان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد

فإن من أعظم نعم الله تعالي على عباده المؤمنين أن ألف بين قلوبهم، وأزال عداوة الجاهلية وأحقادها من نفوسهم، وهداهم بالإسلام إلى ما فيه عزهم وفلاحهم فى الدنيا والآخرة، وجعلهم به إخوة متحابين بعد أن كانوا قبله أعداء متنافرين وقد امتن الله على رسوله محمد ﷺ بهذه النعمة فقال جل شأنه : ﴿ **هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم. إنه عزيز حكيم** ﴾ وامتن بنعمة تأليف القلوب والأخوة والهداية على المؤمنين وأمرهم أن يذكروا هذه النعمة ليحافظوا عليها ويبعدوا عنها كل ما يضعفها أو ينقض عراها فقال جل شأنه : ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ﴾ .

وقد كان الأوس والخزرج قبل الإسلام أعداءً بينهما قتال ومعارك ودماء وأشلاء فلما هداهم الله بالإسلام صاروا إخوة متحابين معتصمين بدين الله وفيهم رسوله يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويهديهم إلى صراط الله المستقيم. وكانت هذه الألفة والمحبة تملأ قلوب أعدائهم من يهود المدينة غيظا وحقدا، يودون أن لو عادوا إلى الفرقة والعداوة والقتال كما كانوا قبل إسلامهم، وكان هؤلاء الأعداء يسعون إلى ذلك ويعملون على الوقيعة بين

هؤلاء المؤمنين المتحابين. فقد مرّ شاس بن قيس – وكان شيخا كبير السن عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم– على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح حالهم بالإسلام، فقال: قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد. يريد جماعة الأوس والخزرج. والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار. فأمر فتى شابا من يهود أن يذكرهم يوما اقتتلوا فيه قبل الإسلام وقالوا فيه أشعارا تفيض بالكراهية والوعيد بالقتل وسفك الدماء ويسمى هذا اليوم يوم بعاث، وفعل الفتى ذلك وأنشدهم أشعارهم فثارت النفوس، وغلت الدماء فى الرؤوس، وقال كل فريق لصاحبه: لو شئتم لرددناها جذعة– أى حربا طاحنة– وعمدوا إلى السلاح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين، الله الله. أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بين قلوبكم؟ فعرف القوم أنها نزغة من نزغات الشيطان وكيد عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا. ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم هذه الفتنة التى أوقدها عدوهم، وكان إيمانهم بالله ورسوله وقاية لهم من هذا الكيد، وإن أعداء المسلمين لا يفتأون يكيدون لهم مثل ذلك، ولا يُبطل كيدهم إلا الاعتصام بحبل الله والمحافظة على نعمة الله الذى ألف بين قلوبهم بالإيمان وهداهم إلى صراطه المستقيم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا.

قيادة حكيمة وسياسية رحيمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فلم تكن قيادة رسول الله ﷺ للأمة خالية من الصعاب والمتاعب فقد كان بالقرب منه من يتربصون به وبالمسلمين الدوائر وهم يهود المدينة، وكان مشركو مكة يجمعون جموعهم ويحشدون القبائل من حولهم ويعدون العدة لحرب المسلمين واستئصال شأفتهم، وكانت بعض المواقف تثير معارضة فى صفوف المسلمين أو من أفراد منهم، كما حدث من عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عندما أعلن معارضته لما ارتضاه الرسول من بنود معاهدة الحديبية، وجهر عمر بهذه المعارضة أمام النبى الكريم فما يزيد فى الرد على قوله: «إنى نبى الله وإنه لا يضيعنى» ويجهر عمر بالمعارضة أمام أبى بكر الصديق فيقول له: «الزم غرزه فإنه على الحق»،

ومن المواقف التى واجهها الرسول بقيادته الحكيمة وسياسته الرحيمة ذلك الموقف الذى غضبت فيه الأنصار بعد تقسيم غنائم حنين، فقد رأوا رسول الله ﷺ يعطى الذين أسلموا فى فتح مكة من القرشيين مئات من الإبل وأموالا كثيرة من هذه الغنائم دون أن يعطى الأنصار شيئًا، حتى قال بعضهم: «لقد لقى محمد قومه» ودخل عليه سعد بن عبادة وأخبره بما فى نفوس الأنصار فقال له: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومى. فقال الرسول: فاجمع لى قومك. فلما اجتمعوا إليه قام الرسول فحمد الله واثنى عليه ثم قال: يا معشر الأنصار ما قالة بلغتنى

عنكم. وجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى الله ورسوله أمن وأفضل.

ثم قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المن والفضل. قال أما والله لو شئتم لقلتم: أتيتنا مكذّباً فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك ولو قلتم لصدقتم وصدقتم أوجدتم في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. والله لولا الهجرة لوددت أن أكون امرءاً من الأنصار. ولو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار وما زال يسترضيهم ويدعو لهم حتى بكوا وأخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا، وسكنت المعارضةواجتمعت الكلمة وعاد الصفاء النفسي والروحي بهذه السياسة الحكيمة.

الرسول يقبل المشورة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد

فقد كانت غزوة بدر الكبرى أول معركة من معارك الإسلام الفاصلة، وأول لقاء بين دولة التوحيد والإيمان بقيادة محمد رسول الله ﷺ، ودولة الكفر والوثنية بقيادة أبى جهل بن هشام، وكان المسلمون فى عددهم يتجاوزون الثلاثمائة رجل بقليل ليس معهم إلا فرسان وسبعون بعيرا، بينما جيش قريش يتجاوز الألف مقاتل مجهزين بمائة فرس وستمائة درع وجمال كثيرة لا يحصى عددها.

وكان خروج المسلمين من المدينة أول الأمر لمواجهة عير قريش الآتية من الشام لعل الله يجعلها من نصيب المؤمنين بما فيها من التجارة والثروات عوضا عن بعض ما اغتصبه المشركون من أموال المسلمين وثرواتهم عندما أخرجوهم مهاجرين من مكة بغير مال ولازاد.

ولم يكن فى حسبان المسلمين أن الأمر سينتهى إلى قتال ومواجهة لهذا الجيش الذى أعدته قريش لضرب المسلمين ضربة قاصمة- كما يزعمون- وخرجوا بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله وكما قال قائدهم أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم بها ثلاثًا فننحر الجزر - جمع جزور- ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا.

ووجد المسلمون أنفسهم أمام معركة لابد منها، وتحرك رسول الله ﷺ بجيشه ونزل به عند أقرب ماء من مياه بدر، وهنا قام الحباب بن المنذر

كخبير عسكرى، وقال: يا رسول الله. أرأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكم الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأى والحرب والمكيدة.

قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم- أى من قريش- فننزله ونغور- أى نخرب- ما وراءه من الآبار، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون- فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأى، فنهض رسول الله ﷺ بالجيش حتى أتى أقرب ماء من العدو فنزل عليه، ثم صنعوا الحياض وغوروا ما عداها من الآبار.

إن الحباب بن المنذر كان حكيما عند إبداء مشورته فهو يسأل أولا إن كان المنزل الذى نزل فيه رسول الله بناء على وحى من السماء فليس لأحد أن يغيره أو يبدى الرأى فيه، فإن الالتزام بأوامر الله من موجبات الإيمان، أما إذا كان من الرأى والاجتهاد والمكيدة للعدو فهو قابل لإبداء الرأى فيه والمشورة بخلافه، فلما أخبره رسول الله بأن الأمر يقبل إبداء الرأى أشار الحباب بما أشار به من الرأى الذى رضيه رسول الله ﷺ وأثنى عليه ونفذه- وذلك درس من دروس الإيمان يجب على كل مسلم أن يعيه وأن يفهمه وأن يلتزم به.

والرسول القائد النبى المرسل المعصوم يقبل مشورة هذا الجندى ويعدل عن رأيه هو وينفذ ما أشار به الحباب بن المنذر وذلك درس آخر من دروس القيادة الرشيدة التى تقبل الرأى الصائب مهما كان صاحبه، ولكم فى رسول الله أسوة حسنة.

كتاب حاطب إلى قريش

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فقد نقضت قريش الصلح الذى كان بينها وبين رسول الله ﷺ، والذى كان يقضى فى أحد بنوده أن من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وتنفيذا لهذا البند دخلت قبيلة خزاعة فى عهد رسول الله ﷺ، وصار عليه أن يحميها من العدوان عليها كما يحمى أصحابه، ودخلت قبيلة بنى بكر فى عهد قريش وصار عليهم حمايتها كذلك.

وفى شهر شعبان من السنة الثامنة للهجرة اعتدت قبيلة بنى بكر بمؤازرة قريش على قبيلة خزاعة التى فى عهد رسول الله ﷺ وكان ذلك نقضا للمعاهدة التى بين رسول الله وقريش والتى عقدت فى العام السادس من الهجرة وسميت «صلح الحديبية» واستجارت خزاعة برسول الله ﷺ وأنشد عمرو بن سالم الخزاعى أمام رسول الله أبياتا تحكى قصة هذا الغدر وكان منها قوله:

هم بيتونا بالوتير هجدا

وقتلونا ركعا وسجدا

فقال له رسول الله ﷺ «نصرت يا عمرو بن سالم» وأمر الرسول أصحابه بأن يتجهزوا لغزو قريش فى مكة، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار من

قريش حتى نبغتها فى بلادها » وكان يتكتم أمر هذه الغزوة حتى لا تصل أخبارها إلى قريش.

ولكن حدث أن حاطب بن أبى بلتعة كتب كتابا إلى قريش يخبرهم فيه بمسير رسول الله ﷺ وأعطى الكتاب لامرأة وجعل لها أجرا على أن تبلغه إلى قريش.

ونزل جبريل بخبر الكتاب على رسول الله ﷺ فبعث عليا والمقداد وحدد لهما مكان المرأة التى معها كتاب حاطب فانطلقا حتى أدركاها وسألاها عن الكتاب فأنكرت أول الأمر فلما اشتد عليها على رضى الله عنه أخرجت الكتاب من بين شعرها وسلمته لهما. فأتيا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ، فدعا الرسول حاطبا وقال له « ما هذا يا حاطب؟ فقال لا تعجل على يا رسول الله. والله إنى لمؤمن بالله ورسوله، وما ارتددت ولا بدلت، ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش لست من أنفسهم، ولى فيهم أهل وعشيرة وولد، وليس لى فيهم قرابة يحمونهم، فأحببت أن اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى. فقال عمر بن الخطاب: دعنى يا رسول الله أضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله، وقد نافق، فقال رسول الله ﷺ: « إنه قد شهد بدرا، وما يدريك يا عمر، لعل الله اطلع على أهل بدر. فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ». فذرفت عينا عمر بالدموع وقال: الله ورسوله أعلم.

إن ما فعله حاطب من محاولة كشف سر المعركة لأعداء رسول الله خطأ كبير وإثم عظيم بكل المقاييس ولو حكم عليه الرسول بما رآه عمر لكان

عدلا، ولكن رحمة رسول الله بالمؤمنين جعلته يعفو عن حاطب ويذكر له ما فعله فى بدر من نصرة الله ورسوله. وهكذا عالج الرسول هذا الموقف بالرحمة التى أودعها الله فى قلبه والتى قال عنها سبحانه ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ ذلك موقف حكيم من قيادة نبوية حكيمة يجب الاقتداء به.

اليوم يوم المرحمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

ففى السنة الثامنة من الهجرة أعد رسول الله ﷺ العدة لفتح مكة وجهز جيش المسلمين لذلك وغادر المدينة فى عشرة آلاف مقاتل فى اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك، وسار بالجيش حتى نزل بمر الظهران- وادى فاطمة- واستراح فيه ليلته، وفى الصباح يوم الأربعاء السابع عشر من رمضان غادر الرسول مر الظهران إلى مكة، وأمر عمه العباس أن يحبس أبا سفيان بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها، ففعل العباس ما أمره به رسول الله ﷺ، وراع أبا سفيان ما رآه من قوة جيش المسلمين ونظامهم حتى قال للعباس: والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما. قال العباس: يا أبا سفيان: إنها النبوة، قال: فنعم إذن.

وكانت راية الأنصار مع سعد بن عبادة، فلما مر بأبى سفيان قال له: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشا. فلما حاذى رسول الله ﷺ أبا سفيان قال: يا رسول الله. ألم تسمع ماقال سعد؟ قال: وما قال؟ فقال: كذا وكذا- فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله. ما نأمن أن يكون له فى قريش صولة فقال رسول الله ﷺ: بل اليوم يوم المرحمة، بل اليوم تعظم فيه الكعبة، اليوم يوم أعز الله فيه قريشا، ثم أرسل إلى سعد فنزع منه اللواء ودفعه إلى ابنه قيس، ورأى أن اللواء لم يخرج عن سعد.

ما أروع هذا الموقف من رسول الله ﷺ وهو بسبيل قتال القوم الذين آذوه وآذوا أصحابه، والذين أخرجوا المسلمين من ديارهم قهرا وعنوة، واستولوا على دورهم وأموالهم وثرواتهم، ودفعوا بهم إلى دار الهجرة بغير مال ولا زاد، يواجهون مصيرا لا يعلمه إلا الله، والذين نقضوا الصلح الذى بينهم وبين رسول الله باعتدائهم على قبيلة خزاعة حليفة رسول الله ﷺ .

والذين نصبوا الحرب مع رسول الله والمؤمنين. وفى كل قتال كانوا هم البادئين المعتدين فهم الذين جاءوا بجيشهم للقتال فى بدر وهزمهم الله، وهم الذين عادوا فى العام التالى فى غزوة أحد، وهم الذين جمعوا الأحزاب وحرضوا القبائل لقتال رسول الله والمؤمنين فى غزوة الأحزاب التى بدد الله شملهم فيها وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا. والآن يغزوهم رسول الله ﷺ، وهذا تاريخهم معه، ويقول مع ذلك عنهم: اليوم يوم أعز الله فيه قريشا، اليوم يوم تعظم فيه الكعبة، ثم ينزع اللواء من سعد ابن عبادة خشية أن يكون له فى قريش صولة.

ما أرحم حروب المسلمين، وما أكرم نواياهم وأمنياتهم لمن يحاربون- أن يعزهم الله بالحق والإيمان بالله، وأن تعظم حرمات الله وشعائره، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب.

الرسول يستعير السلاح من مشرك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن الله بعث رسوله محمدا ﷺ بالإسلام وأمره أن يبلغ رسالة ربه وقال له: ﴿**يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾ وصدع رسول الله ﷺ بما أمره ربه تنفيذا لقوله تعالى: ﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**﴾ واشتدت عداوة المشركين لهذا الدين الذى يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكان من عتاة الجبارين الذى آذوا رسول الله ومن آمن معه ثلاثة تملكتهم حمية الجاهلية فكانوا حربا على الإسلام والمسلمين وهم: أبو سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، وقد دعا عليهم الرسول فى صلاته فأنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿**ليس لك من الأمر شيء، أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**﴾ وكف الرسول عن الدعاء عليهم. ولما أعز الله دينه ونصر رسوله وتم فتح مكة، قال عمر: لئن أمكننى الله من هؤلاء لأعرّفنهم، ولكن الرسول ﷺ أرسل إليهم وقال لهم: «مثلى ومثلكم كما قال يوسف لإخوته: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين» قال عمر: فانفضحت حياء من رسول الله ﷺ.

قال أهل السير: ولما فتح الله مكة على رسوله أطاعت له قبائل العرب كلها وأسلموا – إلا هوازن وثقيف قصدوا محاربة المسلمين واجتمعوا على ذلك فخرج إليهم رسول الله ﷺ بجيش يبلغ اثنى عشر ألفا، وكان فى

حاجة إلى بعض السلاح فذُكر له أن صفوان بن أمية يملك أدرعا وسلاحا فأرسل إليه– وهو يومئذ مشرك– فقال: يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى به عدونا. فقال: أغصبا يا محمد؟ قال: بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك. قال صفوان: ليس بهذا بأس. فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح. وهكذا تعامل رسول الله ﷺ مع صفوان قبل إسلامه تعاملا لا إكراه فيه وهو المنتصر الظافر، وهدى الله صفوان إلى الإسلام فكان من خير الأصحاب فيما بعد ولكم فى رسول الله أسوة حسنة.

شجاعة بدلت الهزيمة نصرا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد

فإن رسول الله ﷺ كان فى أعلى درجات الشجاعة، وله مواقف كثيرة تشهد بشجاعته ورباطة جأشه وثقته فى نصر الله له ولدينه الذى أرسله به، ومن أعظم مواقفه الشجاعة موقفه فى غزوة حنين، فقد حدث بعد أن فتح الله مكة على المسلمين فى السنة الثامنة من الهجرة، أن امتنعت بعض القبائل الشرسة القوية المتغطرسة عن الاستسلام وفى مقدمة هذه القبائل هوازن وثقيف واجتمع بطون من نصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بنى هلال وقدرات هذه البطون من نفسها عزا وأنفة أن تخضع لانتصار المسلمين فى فتح مكة، واجتمعت إلى قائدها مالك بن عوف واستعدت للقتال، فسار إليهم رسول الله ﷺ فى يوم السبت السادس من شهر شوال فى السنة الثامنة من الهجرة وكان عدد جيش المسلمين اثنى عشر ألفا، نظر بعضهم إلى هذا الجيش معجبا بكثرته وقال: لن نهزم اليوم من قلة.

وكان من أمر مالك بن عوف أن سبق المسلمين إلى وادى حنين وفرق كمائنه- جمع كمين- فى الطرق والمداخل والشعاب والمضايق فلما وصل المسلمون إلى الوادى وشرعوا ينحدرون فيه فاجأهم الرماة بالنبال تمطر عليهم من كل جانب وقد شدت كتائب العدو عليهم شدة رجل واحد، وكان للمفاجأة أثرها فتفرق جيش المسلمين وولى جنوده مدبرين وكانت البداية توحى بالهزيمة فى هذه المعركة .

وهنا تجلت شجاعة رسول الله ﷺ– وقد تفرق جيشه ولم يبق معه إلا عدد قليل من المهاجرين وأهل بيته. فلم تهزه المباغتة ولم يعرف الخوف إلى قلبه سبيلا، فأخذ يدفع بغلته نحو العدو معلنا عن نفسه قائلاً:

أنا النبى لا كذب– أنا ابن عبد المطلب

وأمر عمه العباس أن ينادى على الناس وكان جهير الصوت فلما سمعوا نداءه قالوا: لبيك يا لبيك وعادوا إلى رسول الله ﷺ واحتدم القتال وكتب الله النصر للمؤمنين وغنموا غنائم كثيرة من الإبل والأغنام والأموال والسبايا، وأعز الله دينه بثبات رسوله وشجاعته فى هذا الموقف العصيب وسجل القرآن ذلك في قول الله تعالى: ﴿ **لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين** ﴾.

وهكذا تبذلت الهزيمة نصرا بهذا الموقف الشجاع من رسول الله ﷺ وبنصر الله لعباده المؤمنين.

الرسول يعلم خادمه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن شباب الأمة هم عدتها وعتادها ومعقد آمالها فى سلامة الحاضر وعظمة المستقبل، والعناية بالشباب هى الأساس الذى يقوم عليه بناء الحضارات وتقدم العلوم وازدهار النمو والتقدم في كل المجالات ولذلك عنى الإسلام عناية كبيرة بتربية الشباب من وقت مبكر والمحافظة عليهم من الوقوع في حبائل الشيطان وغواياته، فإن الإنسان في هذا الوقت من العمر أقرب ما يكون من الاستجابة للشهوات والسعى لتحقيق الملذات، وهو لذلك في حاجة إلى حمايته ومساعدته على اجتياز هذه المرحلة فى أمان وبعد عن الموبقات والمهلكات ورذائل الأخلاق.

والله سبحانه وتعالى يقرر فى كتابه الكريم أن السمع والبصر والفؤاد وسائل العلم والمعرفة والتكوين النفسى والعاطفى للإنسان فيقول جل شأنه ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ وهو سبحانه يحذرنا من الانحراف بهذه الأجهزة ويخبرنا بأنه سائلنا عنها وعن استخداماتها وكيفية الانتفاع بها فيقول: ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ ولذلك فإن واجب من بيدهم التوجيه والتربية أن يحفظوا هذه الوسائل من التأثر بملوثات البيئة أو الصحبة أو مغريات الفساد التى تقتحم السمع والبصر والفؤاد وتؤثر فيهن تأثيرا ضارا. فقد علمنا الله تعالى أن نحفظ

أسماع أولادنا وأبصارهم منذ الصغر فلا يسمع الطفل هجرا من القول ولا ينظر إلى عورة محرمة وذلك بتعليم الأطفال الاستئذان فى ثلاثة أوقات لها حساسيتها فى السمع والبصر وفى التفكير كذلك . من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم . حتى إذا كبر الطفل وبلغ مبلغ التكليف وجب عليه الاستئذان فى كل الأوقات . وقد علم النبى ﷺ أنسا خادمه أن يستأذن . يقول أنس : « كنت خادما للنبى ﷺ أدخل بغير استئذان فجئت يوما فقال : « كما أنت يا بنى – فإنه قد حدث بعدك أمر لا تدخلن إلا بإذن » وكان الفضل بن العباس رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة تستفتيه وجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل الرسول يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ويقول : « رأيت جارية حدثة وغلاما حدثا فخشيت أن يدخل بينهما الشيطان » .

هذه مواقف تعلمنا أن نصون الشباب ونربيه على الفضائل ونمنع عنه المؤثرات التى تفسد فطرته التى فطره الله عليها .

هذا الدرس لا ينسى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد

فإن رسول الله ﷺ فى قيادته لدولة الإسلام كان يربى أصحابه على تعاليم الإسلام الفاضلة، ويأخذهم بها قولا وعملا، وإذا حدث من أحدهم انحراف عن هذه التعاليم أو إهمال لبعضها سارع الرسول العظيم إلى المنبر وجعلها موعظة عامة تصحح الخطأ وترد النفوس إلى الصواب الذى يرضى الله ورسوله، وكان ﷺ فى مثل هذه المواعظ لا يشهر بأحد ولا يذكر المخطىء باسمه أو لقبه أو كنيته حتى لا يفضحه على رؤوس الأشهاد، وذلك من الأدب الإسلامى الرفيع الذى يجب التمسك به والحرص عليه فى حياتنا .

وكان من بين حاجات الدولة أن يبعث الرسول عمالا إلى القبائل والبطون يجمعون الصدقات التى فرضها الله على الأغنياء وجعلها حقا ثابتا للفقراء وحدد مصارفها وامتدح الذين يؤدون زكاة أموالهم وجعلهم من أهل الفلاح فى الدنيا والآخرة فقال جل شأنه ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والدين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون** ﴾ وقال : ﴿ **والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** ﴾ .

وكان من تعاليم رسول الله ﷺ لمن يرسلهم لجمع الصدقات ألا يأخذوا

من الناس كرائم أموالهم ونفائس مقتنياتهم التى يعتزون بها ويفرحون بتملكهم إياها فيقول لعامله فى جمع الصدقة «وإياك وكرائم أموالهم» أى احذر أن تأخذ النفيس من أموال دافعى الزكاة فإن ذلك يوغر الصدور ويخرج الأضغان، ويجعل العطاء ثقيلا على قلب المتصدقين، وكان يأمر عماله كذلك ألا يأخذوا لأنفسهم شيئا من أموال الصدقة إلا ما يعطيه لهم رسول الله ﷺ مما خصصه الله لهم من سهم «العاملين عليها» أى أجور الذين يجمعونها ويحفظونها ويعملون على صيانتها وتوصيلها إلى رسول الله يوزعها على مستحقيها. وكان الذين يختارهم الرسول لجمع هذه الأموال من الأمانة بالدرجة التى يطمئن بها إلى سلامة تصرفهم وحسن أدائهم وخشيتهم من الله.

غير أنه حدث ذات مرة أن أحد الذين بعثهم الرسول لجمع الصدقة أخذ بعض الأموال بحجة أنها هدية أهديت إليه وهو يظن أنها من حقه وأن قبولها لا يخدش أمانته فى شىء.

ولنستمع إلى رواوى الحديث يذكر لنا تفاصيل هذه القصة وهو يقول: استعمل رسول الله ﷺ رجلا على الصدقات، يقال له «ابن اللتبية» فلما قدم بها قال: هذا لكم، وهذا أهدى إلىّ، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد. فإنى استعمل الرجل منكم على العمل فيأتى ويقول: هذا لكم وهذه هدية أهديت لى. أفلا جلس فى بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا- والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة، فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله

يحمل بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر- ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه يقول: اللهم هل بلغت» رواه البخارى.

إن هذا الدرس لا ينسى، وإن الوعيد فيه شديد لأولئك الذين يباشرون وظائف الدولة ويأخذون من أصحاب المصالح هدايا أو أموالا يحسبونها حلالا لهم وبئس ما يصنعون.

سلامة الصدور مطلب إسلامى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد

فإن الرسول ﷺ قد بلغ القمة العليا فى مكارم الأخلاق وقد امتدحه الله تعالى بقوله : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ وهى شهادة من الله تعالى لنبيه ﷺ بعظمة أخلاقه، وقد بعثه الله تعالى معلما للإنسانية كلها فإن رسالته عامة لخلق الله جميعا ﴿ **قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا** ﴾ . ومما علمه الرسول للناس حسن الخلق والمحافظة على العلاقات بين الأفراد سليمة من كل شوائب الكراهية أو الحقد أو الغضب الذى يبعثه تأثر النفس وانفعالها لسبب ترى أن فيه إساءة إليها .

وفى حرص رسول الله ﷺ على سلامة نفوس الناس بعضهم مع بعض نجده يعالج كل الأسباب التى قد تدعو إلى نفور الناس من بعضهم أو تشككهم فى علاقاتهم فيقول ﷺ : ﴿ **إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث** ﴾ وهو بذلك يعالج موقفا قد يحدث من بعض الناس دون انتباه لما يتركه هذا الموقف من الحزن أو الشك أو الهواجس فى نفس رفيقهما الذى تركاه وتحدثا بعيدا عنه فى سرية لا يسمع ما يقال فيها .

ومن تعاليم رسول الله ﷺ الداعية إلى المحافظة على سلامة نفوس الناس بعضهم مع بعض، وإبعاد عوامل الكراهية والضغينة عن علاقاتهم نجده ينهى أن يخطب الخاطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له .

فإن الإنسان إذا تقدم لخطبة فتاة وأظهر لأهلها الرغبة في الزواج بها،

وكان منهم قبول وميل إلى إتمام هذا الاقتران، فإنه لا يجوز لشخص آخر يعلم بهذا الأمر أن يسارع قبل إتمامه ويخطب هذه الفتاة مزاحما الخاطب الأول، وقد يكون فيه ميزات تجعل أهل الفتاة ينقضون وعدهم للأول ويرغبون الخاطب الثانى.

هذا العمل وهو الخطبة على خطبة أخيه- مما يبعث الضغينة فى النفوس ويؤدى إلى العداوة والخصومة وقد تزداد العلاقة بينهما سوءا فيحدث من المآسى مالا تحمد عقباه. ولذلك جاء نهى رسول الله ﷺ أن يخطب المرء على خطبة أخيه إلا إذا ترك الخاطب الأول وعدل عن رغبته فى الاقتران أو أذن للثانى فى أن يتقدم إليها، وهذا الإذن دليل الرضا فحينئذ يجوز للثانى أن يتقدم دون خوف من حدوث العواقب السيئة.

ومثل ذلك نهيه ﷺ أن يبيع الرجل على بيع أخيه أو يشترى على شراء أخيه، وذلك يحدث من بعض الناس دون نظر إلى العواقب السيئة التى تترتب على هذا العمل، فبعدما يتفق البائع مع المشترى على ثمن سلعة معينة ويتراضيا على ذلك يتدخل بائع آخر ويقول للمشترى أنا أبيعك هذه السلعة بثمن أقل مما اتفقتما عليه، وهذا هو البيع على بيع أخيه.

أما الشراء على شراء أخيه فصورته أن يتفق المشترى على شراء سلعة معينة بثمن معين فيتدخل شخص آخر ويقول للبائع أنا أشتريها منك بثمن أكثر ويفسد على المشترى الأول صفقته.

وفى كلا الحالين يحدث النزاع والشقاق وغضب النفوس، ولذلك جاء الإسلام بمكارم الأخلاق يعلم الناس كيف يحافظون على سلامة نفوسهم وحسن علاقاتهم حتى تكون حياتهم سعيدة هنيئة آمنة من كل سوء.

الرسول ينزل على رأى أصحابه

بعد غزوة أحد وما أصاب المسلمين فيها ظن اليهود أن الفرصة سانحة للقضاء على المسلمين فى حرب أخرى تتجمع فيها أحزاب الشرك والكفر وتهاجم المدينة لاستئصال شأفة المسلمين نهائيا، ودبر اليهود هذا الأمر فخرج عشرون رجلا من زعمائهم وسادات بنى النضير إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو الرسول ﷺ ويوالونهم عليه ووعدوهم بنصرتهم فأجابتهم قريش إلى ما طلبوا، ثم خرج هذا الوفد إلى غطفان فدعوهم إلى مثل ما دعوا إليه قريشا فاستجابوا لذلك ونجح ساسة اليهود وقادتهم فى تأليب أحزاب الكفر من قريش وكنانة وحلفائهم من أهل تهامة ومن قبائل غطفان وهم بنو فزارة وبنو مرة وبنو أشجع كما خرجت بنو أسد وغيرهم وهاجم الأحزاب المدينة وفوجئوا بحفر الخندق حولها ولم يكن ذلك معروفا فى حروب العرب وإنما أشار به سلمان الفارسى وحفره المسلمون، وجرت محاولات من المشركين لافتحام الخندق وصدهم المسلمون واشتدت المراماة بينهم وقتل رجال من الجيشين،وفى مواجهة هذه الشدائد فى المعركة نقض بنو قريظة عهدهم وانضموا إلى المشركين وقاموا فعلا ببعض عمليات الحرب وهددوا النساء والذرارى فى المدينة والمسلمون فى شغل عنهم بالجيش الزاحف الذى يريد المدينة ومن فيها . وعرف الرسول والمسلمون موقف بنى قريظة، وغدرهم وتحرج الموقف وصار كما صوره الله تعالى بقوله : ﴿ **وإذ زاعت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا** ﴾ وأشفق الرسول على

المسلمين من هذا الهول فأراد أن يخفف عنهم وفكر فى أن يصالح عيينة بن حصن والحارث بن عوف رئيسى غطفان على ثلث ثمار المدينة حتى ينصرفا بقومهما وتدب الفرقة فى صفوف الأحزاب. واستشار الرسول فى ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رئيسى الأوس والخزرج فقالا: يا رسول الله. إن كان الله أمرك بهذا فسمعا وطاعة، وإن كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثّمرة إلا قرى - ضيافة- أو بيعا. فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا إليه وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف، فصوب الرسول رأيهما وقال: إنما هو شيء أردت أن أصنعه لكم، ولا نعطيهم إلا السيف. وهكذا كان يستشير الرسول أصحابه وهكذا ظهرت قوة الإيمان أمام الشدائدا لطاحنة واستحق المؤمنون نصر الله الذى هزم الأحزب وحده.

من مواقف أمهات المؤمنين

لا . والله لا يخزيك الله أبدا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد

فبهذه العبارة المطمئنة الباعثة على الثقة الطاردة للقلق والفزع استقبلت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوجها الحبيب محمد بن عبد الله وقد جاءها ذات يوم برجف فؤاده، وتسرع دقات قلبه، وهو يقول: زملونى زملونى، فإن الخائف يشعر بالبرد فى أطرافه وأعضاء جسمه ويكون فى حاجة إلى الدفء الذى يعيد إليه هدوء نفسه، ولكن محمدا وجد عند زوجه خديجة دفئا من نوع فريد، ليس دفء الغطاء والوسائد، لكنه دفء نفسى جاء فى كلمات حانية معبرة عن الثقة فى حماية الله وعونه لمحمد الذى لم تعهد منه إلا الخير، ولم تر فى عشرتها معه غير مكارم الأخلاق على مستوى لا يرقى إليه غيره من أهل بيئته فانطلق لسانها معبرا عما تكنه فى نفسها من محبة واحترام وتقدير لهذا الزوج العظيم الكريم: «لا . والله لايخزيك الله أبدا» .

كان محمد يتجهز للتعبد فى غار حراء ليالى عدة ثم يعود فيتجهز لمثلها وقد حبب إليه البعد عن الناس والتعبد على دين إبراهيم عليه السلام وهو دين الوحدانية والتعظيم لله خالق السموات والأرض . ، وبينما هو فى خلوته ذات ليلة من ليالى رمضان فى غار حراء إذ فاجأه ما ليس فى حسبانه، وإذا بالملك جبريل يظهر له ويقول يا محمد اقرأ . ويجيب محمد : ما أنا بقارئ أى لست ممن يعرف القراءة، فيأخذه الملك

ويحتضنه فى قوة أجهدته ثم أرسله وقال: اقرأ . قال: ما أنا بقارئ يقول محمد: فأخذنى الثانية وغطنى حتى بلغ منى الجهد. ثم أرسلنى فقال: اقرأ. قلت ما أنا بقارئ. فأخذنى الثالثة وغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى وقال: اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم.. واضطرب محمد وخاف من هول المفاجأة وأسرع إلى بيته لتلقاه زوجه خديجة وهو يقول: لقد خشيت على نفسى. ولم تفزع خديجة وهى ترى زوجها الحصيف الهادئ الرزين وقد تملكه الخوف، فكان ثباتها هو المرفأ الآمن الذى استقرت عليه نفس محمد الذى جاءه الملك بالنبوة اصطفاء من الله واختيارا له دون كسب أو سعى منه لها، وجاءت كلمات خديجة فى هذا الموقف باعثة للهدوء والطمأنينة فى نفس النبى محمد قالت «لا والله لا يخزيك الله أبدا. إنك لتصل الرحم وتحمل الكل. وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف. وتعين على نوائب الحق» فكأنها بهذا تقيم الدليل على يقينها بأن الله لايخزى محمدا أبدا، فمن كانت هذه صفاته، فكيف بخزيه الله العادل، أو يمسه بسوء، أو يتخلى عنه، وتأكيدا لقولها المنبعث عن فطنة ورباطة جأش، وسلامة فكر، وثقة بعدل الله، أخذت زوجها إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وهو شيخ كبير قرأ كتب الأولين وعرف كغيره من أحبار أهل الكتاب أن نبى آخر الزمان قد آن وقت بعثته وأنه قد أظلهم زمانه، وقالت خديجة: يا ابن العم، اسمع من ابن أخيك. وقص محمد النبى ما جرى له فى غار حراء، واستمع ورقة، وما لبث أن قال: أبشر يا ابن أخى فإنك نبى هذه الأمة الموعود به فى كتب أهل الكتاب وإن ما رأيته هو

الناموس الذى أنزل الله على موسي، وليتنى أكون فيها جذعا إذ يخرجك قومك، إذا لنصرتك نصرا مؤزرا- وتعجب محمد النبى قائلا: أو مخرجى هم؟ قال ورقة: ما أتى أحد بمثل ما أوتيت به إلا أوذى. أى أن هذا شأن الأنبياء من قبلك، فكن مستعدا لما يصيبك من قومك.

وهدأت نفس محمد وأيقن أن الله قد اصطفاه نبيا ورسولا: وكان موقف أم المؤمنين خديجة بنت خويلد هو الدفء الذى أشاع فى نفسه الهدوء وطرد عنه خوف المفاجأة. وظل رسول الله ﷺ يذكرها بعد وفاتها بكل خير، ويبدى من ضروب الوفاء لها ما كان مثار العجب عند بعض زوجاته، فقد كانت أول من صدقة وآمن به ورزقه الله منها الولد ونزل جبريل يطلب من النبى أن يقرئها السلام من ربها.

سلام على خديجة من رب العالمين.

أم حبيبة وموقفها من أبيها

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فقد هاجرت أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب فى الهجرة الثانية إلى الحبشة عندما اشتد إيذاء مشركى مكة لكل من دخل فى دين الإسلام، فأذن رسول الله للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة وقال عن النجاشى: إنه ملك لا يظلم عنده أحد.

وكان مع أم حبيبة فى هذه الهجرة زوجها عبيد الله بن جحش الذى ارتد عن الإسلام واعتنق النصرانية، وصارت أم حبيبة وحيدة فى أرض غير أرضها، منقطعة عن قرابتها فى مكة. فأبوها مشرك على دين قريش لم يدخل فى الإسلام بعد، وقد تأخر إسلامه إلى السنة الثامنة من الهجرة عند فتح مكة، وزوجها انفصل عنها أو انفصلت عنه فما يحل للمسلمة أن تكون زوجة لغير المسلم، ولكن أم حبيبة كانت قوية الإيمان ثابتة اليقين بأن هذا الدين هو الحق الذى لا حق سواه، وأن محمدا رسول الله وخاتم أنبيائه، وأن الدين عند الله الإسلام، فثبتت على إيمانها رغم المحن المتوالية؛ محنة العذاب الذى لقيته فى مكة، ومحنة شرك أبيها وأهلها وعدم اهتدائهم إلى الإسلام، ومحنة الهجرة إلى بلد بعيد ليس لها فيه أنيس، ومحنة ارتداد زوجها وقد كان أنيسها الوحيد فى هذه الغربة.

رأت أم حبيبة ذات ليلة فى منامها أن قائلا يقول لها: يا أم المؤمنين. قالت ففزعت ثم أوّلتها أن رسول الله ﷺ يتزوجنى. وقد كان، فقد أرسل رسول الله ﷺ إلى النجاشى الذى أسلم يطلب إليه أن يزوجه إياها فأرسل

إليها النجاشي يخبرها بما طلبه رسول الله ويقول لها: وكلي من يزوجك فوكلت خالد بن سعيد بن العاص.

وكان يوما بهيجا اجتمع فيه كل المسلمين بالحبشة وخطب النجاشي فقال: الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأنه الذى بشر به عيسى ابن مريم صلى الله عليهما وسلم. أما بعد. فإن رسول الله ﷺ كتب إليّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقتها أربعمائة دينار. ثم سكب الدنانير بين يدى القوم، ودعاهم إلى طعام فأكلوا وتفرقوا .

وقدمت أم حبيبة إلى رسول الله ﷺ ولقبت «أم المؤمنين» وهو لقب أزواج النبي رضى الله عنهم وفى السنة الثامنة من الهجرة قدم أبوها.. أبو سفيان.. إلى المدينة يسعى فى أن يزيد رسول الله فى مدة هدنة الحديبية. وكانت قريش قد نقضت عهدها فلم يقبل عليه رسول الله ﷺ فقام ودخل على ابنته أم حبيبة فلما هم بالجلوس طوت عنه فراش النبى ﷺ وسألها: لماذا طويت الفراش عنى؟ قالت: إنك مشرك نجس لا تجلس علي فراش رسول الله. وكان موقفا تجلت فيه قوة الإيمان وعدم موادة من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم.

وتلك صفة المؤمنين بالله واليوم الآخر كما ذكرها الله تعالى فى قوله: **﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾**.

أم المؤمنين صاحبة الهجرتين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد

فقد كان لأبى سلمة وزوجه هند إلى جانب النسب العريق ماض مجيد فى الإسلام، فقد كانا من السابقين الأولين، وهاجرا مع العشرة الأولين إلى الحبشة، ثم قدما مكة بعد تمزيق صحيفة المقاطعة الظالمة التى حبست بها قريش المسلمين فى شعب أبى طالب وقاطعتهم مقاطعة تامة لا بيع ولا شراء ولا مودة ولا مكالمة ولا أى نوع من المعاملة، وبقى هذا العناء القاسى ثلاثة أعوام عجاف حتى قيض الله من نقض هذه الصحيفة التى كانت معلقة فى الكعبة .

عاد أبو سلمة وزوجه هند من هجرة الحبشة ثم أذن النبى ﷺ لأصحابه بالهجرةإلى يثرب، فاجمع أبو سلمة أمره على الهجرة بأهله، فكانت قصة خروجهما مأساة من مآسى الظلم والطغيان الذى كان يباشره أهل مكة مع المؤمنين بهذا الدين الجديد . فعندما حمل أبو سلمة زوجه وابنه على بعير لهم وأراد الخروج من مكة تعرض له أهل زوجه وانتزعوها منه وجاء أهله وقالوا لا ندع ابننا معها وقد أخذها أهلها فتجاذبوا « سلمة » حتى خلعوا يده، وانطلق به رهط أبيه . وبهذا صار أبو سلمة مهاجرا إلى المدينة، وزوجه عند أهلها، وابنهما الصغير عند رهط أبيه، وظلت الزوجة تخرج كل يوم إلى الأبطح تبكى زوجها وابنها حتى تمسى سنة أو قريبا منها، وأخيرا رق لها أحد أقربائها وقال لأهلها ألا ترحمون هذه المسكينة،

فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها، ومازال بهم حتي قالوا لها: الحقى بزوجك إن شئت. فخرجت وحيدة مهاجرة تريد اللحاق بزوجها فى يثرب ومعها وليدها «سلمة» ووصلت دار الهجرة الثانية واجتمع شمل الأسرة المعذبة فى دين الله، وتفرغت أم سلمة لتربية أولادها وتفرغ زوجها للجهاد فى سبيل الله، وكانت أم سلمة أول ظعينة دخلت المدينة، كما كانت من المهاجرين الأولين إلى الحبشة.

وشهد أبو سلمة غزوة بدر وشهد أحداً ورمى فيه بسهم أصاب عضده، ثم عقد له الرسول لواء سرية بعد أحد فقاد معركة ظافرة وعاد بأصحابه إلى المدينة سالمين غانمين قد أعادوا بعض ما ضيعت «أحد» من هيبة المسلمين، وانتكأ جرح أبى سلمة وتضاعف أثره حتى مات منه لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة أربع من الهجرة.

وترملت أم سلمة ذات الهجرتين الصابرة في دين الله ومعها من الأولاد أربعة: سلمة وعمر وزينب ودرة. وفى سبيل مواساتها فى فجيعتها خطبها أبو بكر فردته فى رفق، وخطبها عمر بن الخطاب فكان حظه كصاحبه ثم بعث النبى ﷺ يخطبها فاشفقت ألا تكون جديرة ببيت النبوة وقد كبرت سنها ومعها عيال صغار فأرسلت تعتذر بذلك وبأنها ذات غيرة، فقال لها النبى: أنا أكبر منك سنا، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك وأما العيال فإلى الله ورسوله. وتزوجها رسول الله ﷺ وصارت الصابرة ذات الهجرتين أما للمؤمنين.

أم سلمة تنقذ الموقف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد

ففى السنة السادسة من الهجرة رأى رسول الله ﷺ أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام وطافوا به معتمرين فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة ففرحوا بذلك وحسبوا أنهم يدخلون مكة فى عامهم هذا . وتحرك الرسول والمسلمون معه إلى مكة فلما كان بذى الحليفة- ميقات أهل المدينة- قلد الهدى وأشعره وأحرموا بالعمرة، وساروا حتى وصلوا الحديبية على مقربة من مكة أعلنت قريش أنها مانعة رسول الله والمسلمين عن دخول مكة ولو اقتضى الأمر قتالهم، وتحركت الرسل بين أهل مكة والنبى ﷺ وهو يخبرهم أنه لم يأت لقتال ، وانتهى الأمر إلى توقيع صلح الحديبية، وكان من بين شروط هذا الصلح : أن يرجع الرسول من عامه هذا فلا يدخل مكة، فإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثا معهم سلاح الراكب : السيوف فى قرابها ، ولا تتعرض لهم قريش بأى نوع من أنواع التعرض .

وأحزن المسلمين أن يرجعوا دون أن يدخلوا مكة ويؤدوا مناسك عمرتهم، وعز ذلك على عمر بن الخطاب وأظهر حزنه فى مناقشة صريحة مع رسول الله ﷺ . قال عمر : يا رسول الله- ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال : بلى : أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار؟ قال : بلى . قال ففيم نعطى الدنية فى ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال : يا بن

الخطاب إنى رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصرى ولن يضيعنى أبدا– قال: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال: بلى أفأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال: لا. قال فإنك آتيه ومطوف به. وانطلق عمر إلى أبى بكر وقال مثل هذا القول. وأجابه أبو بكر كما أجابه رسول الله ﷺ، وزاد: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله أنه لعلى الحق.

في هذا الجو الحزين أمر رسول الله أصحابه أن ينحروا هديهم ويحلقوا رؤوسهم ويتحللوا من إحرامهم، وكرر ذلك ثلاثا وما منهم من مستجيب، فدخل على زوجه أم سلمة، فذكر لها ما لقى من الناس فقالت: «يا نبى الله أتحب ذلك؟ أخرج إليهم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك» وفعل الرسول ما أشارت به أم سلمة فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما وندما، وثابوا إلى رشدهم بعد أن غلبتهم عواطفهم، وانقذ الله بمشورة أم سلمة موقفا كاد أن يهلك فيه المسلمون بمخالفتهم أمر نبيهم، وما قصدوا مخالفة ولا إباءَ، وهم الذين بايعوه تحت الشجرة على الموت فى سبيل الله لما أشيع أن قريشا قتلوا عثمان بن عفان الذى أرسله النبى إليهم، ورضى الله عنهم بهذه البيعة، وإنما هي صدمة المفاجأة بانهيار أملهم فى الطواف بالبيت، والحزن الذى أصابهم لعدم إتمام عمرتهم، ثم ثابوا إلى رشدهم، وكشفت الأيام بعد ذلك أن صلح الحديبية كان فتحا من الله عظيما.

أفيك اسشير أبوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد

فقد كانت المعيشة فى أبيات رسول الله ﷺ زهدا وكفافا عبرت عنه السيدة عائشة بقولها : «إنه يمر علينا الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة ما يوقد فى أبيات رسول الله ﷺ نار» قال عروة بن الزبير : وما كان طعامكم يا خالة؟ قالت : الأسودان التمر والماء .

هذا الزهد كان اختيارا من رسول الله ﷺ فقد عرض عليه أن يكون له جبال مكة ذهبا فأبى وقال فيما روى عنه : بل أجوع يوما فأسأل الله، وأشبع يوما فأحمد الله . إنه ﷺ يحب أن يكون موصولا بالله دائمًا لا تغيب عظمة الله وقدرته وجلاله عنه طرفة عين، وكان هذا القرب الموصول قرة عينه وسعادة قلبه وبهجة فؤاده، ما يود أن يصرفه عنه شىء من متاع الدنيا وزينتها . ويبدو أن نساءه ﷺ قد أصابهن فى وقت بعض الضعف عن احتمال هذا الشظف من العيش فاتفقن على أن يسألن رسول الله ﷺ زيادة النفقة والتوسعة عليهن بعض الشىء، وسألنه ذلك مجتمعات والرسول ساكت لايرد عليهن شيئًا .

ويروى البخارى ومسلم وقائع هذا الاجتماع عن جابر بن عبد الله قال : أقبل أبو بكر رضى الله عنه يستأذن فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر رضى الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أدن لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فدخلا . والنبى ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ساكت . فقال عمر رضى الله

عنه: لأكلمن ﷺ لعله يضحك . فقال عمر: يارسول الله لو رأيت ابنة زيد- امرأة عمر- سالتنى النفقة آنفا فوجأت- دفعت- عنقها، فضحك النبى ﷺ . وقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها ، وقام عمر رضى الله عنه إلى حفصة كلاهما يقولان: تسألان النبى ﷺ ما ليس عنده. فنهاهما رسول الله ﷺ . فقلن : والله لا تسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده. وأنزل الله عز وجل آية الخيار ﴿ **يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** ﴾ فأمر الله رسوله أن يخير نساءه بين رغبتهن فى الحياة الدنيا وزينتها فيطلقهن ويحسن إليهن ويسرحهن سراحا جميلا، وبين إرادتهن الله ورسوله والدار الآخرة فيكون لهن الأجر العظيم عند الله تعالى، وفى هذا غاية الإنصاف لهن حيث جعل أمر الاختيار إليهن ولم يكره واحدة على حياة لا تستريح إليها.

وبدأ رسول الله ﷺ بعائشة- وكانت أصغرهن سنا- فقال: «إنى اذكر لك أمرا ما أحب أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك» قالت: وما هو؟ فتلا عليها ﴿ **يأيها النبى قل لأزواجك** ﴾ الآية قالت عائشة رضى الله عنها: أفيك استأمر - استشير - أبوى؟ بل اختار الله ورسوله، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت. فقال ﷺ : « إن الله تعالى لم يبعثنى معنفا ولكن بعثنى معلنا ميسرا، لا تسألنى امرأة منهن عما اخترت ؟ إلا أخبرتها» وخيرهن النبى فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فكن جديرات ببيت النبوة ولقب أمهات المؤمنين.

وكانت زوجات رسول الله اللائى خيرهن تسع زوجات منهن خمس من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وأربع من غير قريش وهن: صفية بنت حيى النضرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية. رضى الله عنهن، ورضى الله عن عائشة التى اكتمل رشدها مع صغر سنها فلم تؤجل الاختيار حتى تستشير أبويها بل سارعت بإعلان اختيارها لله ورسوله قائلة لرسول الله ﷺ: «أفيك استشير أبوى»

من مواقف الصحابة

مهاجر يبحث عن الحقيقة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

إذا كـانـت الـنـفـوس كـبـارا

تـعـبـت فـي مـرادهـا الأجـسـام

هكذا كان شأن الصحابى الجليل الذى نتحدث عنه، فقد نشأ فى بلاد فارس فى بيت عز وثراء، وعبد النار مع أهل فارس ثم ضاقت نفسه بما هو عليه من تقديس شىء يخبو وينطفىء لولا متابعة إشعاله بما يطرح فيه من وقود، فذهب إلى كنيسة للنصارى ينظر عبادتهم وطقوسهم الدينية فوجدها خيرا مما هو فيه فانتقل إليها ورحل من أجلها استجلاء لحقيقة هذا الدين إلى الشام ثم إلى الموصل ثم إلى عمورية من بلاد الروم ولازم عابدا نصرانيا هناك حتى إذا حضرته الوفاة سأله قائلا: إلى من توصى بى؟. قال له العابد: يا بنى ما أعرف أحدا على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبى يبعث بدين إبراهيم حنيفا.. يهاجر إلى أرض ذات نخل بين حرتين، فإذا استطعت أن تخلص إليه فافعل. وإن له آيات لا تخفى. فهو لا يأكل الصدقة، ويقبل الهدية، وإن بين يديه خاتم النبوة. إذا رأيته عرفته.

واشتد شوق ذلك المهاجر الباحث عن الحقيقة إلى لقاء هذا النبى الذى حدثه العابد عن مهجره وأوصافه حتى إذا لقى قوما من جزيرة العرب عرض عليهم أن يأخذوا كل ما يملك ويحملوه معهم إلى بلادهم ففعلوا..

ولكنهم خانوه وباعوه عبدا رقيقا إلى رجل من يهود بنى قريظة صار يعمل فى نخله حتى بعث الله رسوله وقدم إلى المدينة ونزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف فأسرع إليه صاحب حديثنا هذا، فلما لقى رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه قدم إليهم طعاما وقال انه صدقة. فقال الرسول لأصحابه كلوا باسم الله وأمسك هو فلم يبسط إليه يدا. فقال الباحث عن الحقيقة هذه واحدة ثم رجع فى الغداة يحمل طعاما قدمه إلى الرسول وهو يقول: إنه هدية. فقال الرسول لأصحابه كلوا باسم الله وأكل معهم، فقال صاحبنا: هذه والله الثانية. إنه يأكل من الهدية ثم مكث ما شاء الله حتى رأى النبى فى البقيع قد تبع جنازة وحوله أصحابه وعليه شملتان مؤتزرا بواحدة ومرتديا بالأخرى، فاقترب منه وسلم عليه وأخذ يطيل النظر إلى أعلى ظهره، فعرف الرسول طليته، فألقى بردته عن كاهله فإذا خاتم النبوة بين كتفيه. فأكب سلمان الفارسى على رسول الله يقبله ويبكى ثم جلس بين يديه يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأشار عليه الرسول بعد ذلك أن يكاتب سيده حتى يعتقه ولما كاتبه سيده أمر الرسول الصحابة أن يعاونوه، وفك سلمان رقبته من هذا الرق الظالم وصار حرا مسلما متوجا بصحبة رسول الله ﷺ وشهد مع الرسول غزوة الخندق والمشاهد كلها، فقد حال الرق بينه وبين شهود بدر وأحد.

ولما جمع الأحزاب جموعهم وقصدوا المدينة ليستأصلوا شأفة المسلمين كان سلمان الفارسى صاحب الرأى الصائب بحفر الخندق فى الجهة المكشوفة من المدينة التى تصلح لهجوم جيش العدو عن طريقها. ووقى الله المسلمين بما أشار به سلمان ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا.

سلمان منا آل البيت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فمنذ أسلم سلمان الفارسى وهو ينهل من النبع الصافى ومن الحكمة البالغة بصحبته لرسول الله ﷺ ، وقد أنس فى حياته الإسلامية أنسا كان يفتقده فى رحلة بحثه عن الحقيقة حتى جزاه الله الجزاء الأوفى، وعوضه بهذا الجو الإيمانى الذى تطمئن فيه القلوب وتسعد النفوس عن أموال أبيه وثرائه الذى خلفه وراء ظهره ساعيا إلى عتق نفسه من ذل عبودية الدنيا وزينتها.

وعاش سلمان بين الرسول وصحابته نفسا زكية نقية مجاهدة فى معارك الإسلام التى تنصر الحق وتدحض الباطل، وهو صاحب المشورة بحفر الخندق حول المدينة فقد عرف فنون الحرب وأساليبها من موطنه الأصلى فى بلاد فارس، ولم يكن للعرب معرفة ولا إلف بمثل ذلك فى حروبهم، وفوجئ جيش المشركين الذى يضم أربعة وعشرين ألف مقاتل تحت قيادة أبى سفيان وعيينة بن حصن- بهذا الخندق الذى حال بينهم وبين ما يريدون من اقتحام المدينة والقضاء على دولة الإسلام فيها. ووقف هذا الجيش الزاحف عاجزا عن اقتحام هذا الخندق الذى حفره الرسول وصحبه بمشورة سلمان الفارسى واستمرت قوات هذا الجيش جاثمة فى خيامها شهرا لا تقدر فيه على شىء حتى أرسل الله عليهم ريحا عاتية اقتلعت خيامهم وبددت شملهم وألقت الرعب في قلوبهم، ونادى أبو سفيان في جنوده آمرا بالرحيل إلى حيث جاءوا فلولاً يائسة منهوكة مقهورة ﴿ **ورد الله**

الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾. ويوم الخندق وقف الأنصار يقولون: سلمان منا، . ووقف المهاجرون يقولون: سلمان منا، وناداهم الرسول قائلاً: «سلمان منا آل البيت» أى شرف هذا الذى حظى به سلمان الفارسى الأصل أن يصبح بإسلامه وإيمانه وجهاده واحدا من آل بيت النبوة، وإنه لوسام شريف تتضاءل دونه كل أوسمة التكريم والتقدير.

وكان سلمان حقيقا بمثل هذا التكريم فقد ملأه الإسلام علما وحكمة وزهدا وهمة عالية - فمن علمه أنه اعترض على صديقه أبى الدرداء حين وجده يقوم الليل ويصوم النهار ويجهد نفسه فى العبادة إلى درجة الإعياء. قال له سلمان: يا أبا الدرداء: «إن لعينيك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، فاعط كل ذى حق حقه، صم وأفطر وقم ونم» وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «لقد أُشبع سلمان علما». ومن حكمته التى عرفت عنه فى مواقف كثيرة كان الإمام على كرم الله وجهه يلقبه ب«لقمان الحكيم» ويقول عنه: «ذاك امرؤ منا وإلينا أهل البيت.. من لكم بمثل لقمان الحكيم، أوتى العلم الأول، والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر، وكان بحرا لا ينزف». ومن زهده أنه كان عطاؤه من بيت المال وفيرا، كان بين أربعة آلاف وستة آلاف درهم فى العام، فلم يكن يأخذ لنفسه منه شيئا ويوزعه جميعه ويكسب رزقه من عمل يده فى صناعة الخوص التى كان يعيش منها كفافا وهو راض عن ذلك كل الرضا. رحم الله سلمان الفارسى مثلا تفخر به أجيال المسلمين من بعده وتراه قمة شامخة فى العالمين.

جعفر بن أبى طالب يخاطب النجاشى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن المسلمين الأوائل لاقوا من المشركين اضطهادا وعذابا شديدا، فأشار الرسول ﷺ على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فكانت لهم إليها هجرتان، الأولى وقوامها اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان ومعه زوجه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ. والهجرة الثانية وكان قوامها ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امرأة، وقد لقى المسلمون فى رحاب النجاشى ملك الحبشة راحة وأمنا وحسن جوار فإنه كما قال رسول الله ﷺ «ملك لا يظلم عنده أحد».

وعز على المشركين أن يجد المسلمون مأمنا لأنفسهم ودينهم، فاختاروا رجلين جلدين لبيبين وهما عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبى ربيعة– قبل أن يسلما– وأرسلوا معهما الهدايا للنجاشى وبطارقته. ولما قابلا النجاشى قالا: أيها الملك. إنه قد أوى إلى بلدك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك.. ثم طالبا بردهم إلى قومهم. ورأى النجاشى يثاقب فكره أن يستوثق مما قيل، ويستوضح الحقيقة فأرسل إلى المسلمين ودعاهم إليه فحضروا وقد أجمعوا على الصدق، وكان المتكلم جعفر بن أبى طالب قال: أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونسىء الجوار فبعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله نوحده ونعبده وأمرنا بصدق الحديث

وأداء الأمانة وصلة الرحم، ثم ذكر بعض محامد الإسلام ومكارمه فاستراح النجاشى لقوله ورد السفيرين خائبين بعدما سمع آيات من القرآن من سورة مريم.

ولكن عمرو بن العاص– وهو الداهية– لم ييأس ودبر مقالة يوقع بها بين النجاشى والمسلمين، فأتى النجاشى من الغد وقال: أيها الملك. أنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما. فأرسل إليهم النجاشى وسألهم عن قولهم فى المسيح ففزعوا. ولكنهم أجمعوا على الصدق مهما حدث. قال جعفر: نقول فيه كما قال نبينا: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فأخذ النجاشى عودا من الأرض ثم قال: والله ماعدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود فتناخرت بطارقته فقال: وإن نخرتم والله. وأمن النجاشى المسلمين فى أرضه وانتهى الأمر إلى دخوله فى دين الإسلام فقد أضاءت كلمات الله بصيرته الصافية.. فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام.

أبو دجانة وسيف الرسول

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن أبطال الإسلام فى سلمهم وفى حربهم لا ينسون تعاليم الإسلام ومثله العليا التى تأمرهم بمكارم الأخلاق وتنهاهم عن الدنايا والوقوع فى الأخطاء، حتى فى أبلغ المواقف حرجا وشدة، ففى مواقف الحروب حين يحتدم القتال وتتلاقى الصفوف وتغلى الدماء فى الرؤوس ينسى المقاتلون مبادئهم وسجاياهم الكريمة، ولا يسيطر على تفكيرهم غير هزيمة الأعداء وتحقيق النصر بأى ثمن وبأى أسلوب. هذه سمة ظاهرة فى كل قتال تتلاقى فيه فئتان متحاربتان.

ولكننا نتيه عجبا وفخرا بتصرف أبطال المسلمين فى ميادين القتال، حينما تكون أمامهم فرصة النيل من عدوهم فيتركونها حرصا على مكارم الأخلاق التى أخذهم الله ورسوله بها، فهم لا يضحون بهذه المبادئ مهما كان الثمن، ومهما كان الموقف دقيقا عصيبا. ونقدم فى حديثنا هذا صورة حية لهذا السلوك الإنسانى الإسلامى الكريم ففى الحرب التى أشعلها مشركو مكة ضد المسلمين فى أحد، والتى أعدوا فيها العدة والخيل والسلاح للانتقام من المسلمين والثأر مما أصاب المشركين فى بدر-- جاء جيش قريش فى ثلاثة آلاف مقاتل وثلاثمائة فارس وجاء معهم النساء يشجعن المقاتلين تتزعمهن هند بنت عتبة زوج أبى سفيان بن حرب قائد هذا الجيش، وكانت هند شاعرة قد نظمت الأهازيج يتغنى بها النساء

تحريضا على قتل المسلمين والانتقام منهم، وكانت مقاتلة فارسة فشاركت في الحرب مع جيش قومها.

وكان لرسول الله ﷺ سيف باتر رفعه ونادى فى أصحابه قائلاً: من يأخذ هذا السيف بحقه، فقام إليه نفر من أصحابه يريد كل منهم أن يأخذ سيف رسول الله يقاتل به ولا ينهزم، فأعطاه رسول الله ﷺ لرجل عرفت العرب شجاعته وبسالته فى الحروب وهو «أبو دجانة» سماك بن خرشه، فأخذ أبو دجانة السيف يختال به بين الصفوف وعصب رأسه بعصابة حمراء وكان إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل حتى الموت، ورآه الرسول يتبختر فى مشيته فقال ﷺ: «إنها لمشية يبغضها الله ورسوله إلا فى مثل هذا الموطن».

انطلق أبو دجانة بعصابته الحمراء وفى يده سيف رسول الله ﷺ يهد به صفوف المشركين هدا فكان أبو دجانة لا يجد فارسا من المشركين إلا قصد إليه ونازله وقتله، وبينما المعركة فى أشد اشتعالها رأى أبو دجانة فارسا من الأعداء يخمش الناس خمشا شديدا- حسب تعبيره- فحمل عليه بالسيف فلما أدرك أنه هالك ولول وصرخ فإذا به امرأة عرفها أبودجانة أنها هند قائدة نسوة قريش فعدل عنها بعد أن كان السيف على مفرق رأسها- قال أبو دجانة: فاكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

أنها مكارم الأخلاق التى تمسك بها المسلمون فى أحرج المواقف، ولن تجد هذا السمو الخلقى إلا عند المسلمين.

الجزية فى شريعة الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن لفظ «الجزية» مشتق من جزى يجزى.. مجازاة- إذا كافأ من أسدى إليه معروفا، وليس فى هذا اللفظ ما يدل على القهر والغلبة والتسلط، بخلاف لفظ «الضريبة» المشتق من ضرب يضرب ضربا وضريبة، ففيه معنى العنف والأخذ عنوة ومنه ضرب على يده بمعنى أمسك وقبض، وضرب القاضى على يد فلان أى حجر عليه ومنعه من التصرف.

ومن هنا نجد أن اختيار الإسلام للفظ «الجزية» تعبيرا عما يدفعه أهل الذمة صلحا مع المسلمين- اختيار كريم يحافظ على كرامة الإنسان وتكريم الله له، إذ يرون أن ما يعطونه للمسلمين من مال إنما هو جزاء ما يقوم به المسلمون من رعايتهم والدفاع عنهم وتأمينهم على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وتركهم أحرارا فى تدينهم وعباداتهم لايفتن أحد عن دينه ولا يضيق عليه فى عبادته مهما كان رأى الإسلام فيها.

إن الذين يأنفون من لفظ «الجزية» ويدعون إلى أن يستبدل به لفظ «الضريبة» يكشفون عن فساد لسانهم العربى وعدم معرفتهم بمعانى الألفاظ فيأنفون من الرحمة والرفق واحترام إنسانية الإنسان ويرضون بالقسوة والقهر والتسلط الذى فى معنى الضرب والضريبة.

«والجزية» حين أخذها المسلمون من أهل الذمة وصالحوهم عليها راعوا الرفق فى قدرها فهى تتفاوت بين أهل الغنى والوسط والأقل، وفى تحصيلها

منتهى الرأفة فتؤجل إلى أيام الحصاد والرخاء، ويؤخذ منهم من الأنواع ما يقدرون عليه، فعن عروة بن الزبير قال: كتب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن: «إنه من كان على يهودية أو نصرانية فإنه لايفتن عنها، وعليه الجزية على كل حالم دينار واف أو قيمته من المعافر (أى الثياب) فمن أدى ذلك إلى رسلى فإنه له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منعه منكم فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين». ومن الرفق ما صنعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع نصارى بنى تغلب فإنهم كرهوا أن تفرض عليهم الجزية فصالحهم على أن يدفعوا ضعف ما يدفعه المسلم من الزكاة وفى ذلك منتهى العدل والرفق والرحمة، فإن المسلم مطالب – دينا – بالجهاد فى سبيل الله ودفع العدوان عن ديار المسلمين وفى الحرب إراقة الدماء والتضحية بالأنفس، وأهل الذمة معفون من ذلك مع حمايتهم من كل عدوان، ومع ذلك فقد أسقطت الجزية عن النساء والولدان، وفرضت على البالغين من الرجال القادرين على الاكتساب فمن عجز منهم لمرض أو عاهة أو كبر سن أعفى منها وفرض له معاش فى بيت مال المسلمين. قال أبو عبيد: فلما أعفيت الذرية – وهم النساء والولدان – من القتل أسقطت عنهم الجزية ومضت السنة بذلك وعمل بها المسلمون. وفي كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالبصرة قال: أما بعد فإن الله سبحانه إنما أمر أن تؤخذ الجزية ممن رغب عن الإسلام واختار الكفر. فوضع الجزية على من أطاق حملها، وانظر من كبرت سنه وضعفت قوته فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه، فقد فعل عمر ذلك بشيخ من أهل الذمة وقال: ما أنصفناك إن كنا أخذنا الجزية فى شبيبتك وضيعناك فى كبرك. ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه. تلك سماحة الإسلام ورحمته التى وسعت الناس أجمعين.

الإسلام رحمة شاملة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن الإسلام دين الرحمة، ورحمته تشمل كل عباد الله، من آمن به ومن حاد عنه، وإنا نجد فى آيات القرآن الكريم وتعاليم الإسلام ما يقرر هذا المعنى، ونجد فى معاملة رسول الله ﷺ لغير المسلمين تطبيقا عمليا لهذه التعاليم التى جاء بها ليهدى الناس إلى صراط الله المستقيم.

فالقرآن الكريم يقرر أن رسالة محمد ﷺ رحمة للعالمين وأن الله تعالى أرسله من أجل أن تتحقق هذه الرحمة فى دنيا الناس أجمعين فيقول الله تعالى: ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ وفى تعاليم الإسلام إرشاد المسلم إلى حسن المعاملة مع أخيه المسلم، ومع غير المسلم إذا لم يصدر منه إيذاء للمسلمين ولم يكن من أعدائهم الذين يحاربونهم ويعاونون على النيل منهم بالأذى والعدوان.

ففى آيات القرآن الكريم نجد قول الله تعالى: ﴿ **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾.

فالمؤمن مأمور بالبر والعدل مع المخالفين له فى الدين إذا لم يكونوا من المحاربين المعتدين. وهذا الإنصاف فى التعامل، وهذه الرحمة فى العلاقات

من السمات التى انفرد بها الإسلام فى مبادئه وتعاليمه ومعاملاته.

وفى حديث رسول الله ﷺ ما يحث المسلمين على البر والعدل مع غير المسلمين فيقول ﷺ: «من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامه» أى أن من فعل ذلك فالرسول ﷺ يخاصمه يوم القيامة، ومن خاصمه الرسول خسر وخاب.

وقد وعى أصحاب رسول الله ﷺ هذه المعانى وأنصفوا بها الناس جميعا. فقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بباب قوم وعليه سائل يسأل، وكان شيخا ضريرا يبدو عليه أنه ذمى، فأخذ عمر بعضده وقال: من أى أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودى. قال: وما ألجأك إلى ما نرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله وأعطاه شيئا مما عنده، ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفنا الرجل أن أكلنا شبيبته ثم خذلناه عند الهرم. هذا من المساكين، وهم زمنى أهل الكتاب ورد عنه الجزية وعن أمثاله.

إن هذا الموقف من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ترجمة عملية لتوجيهات الإسلام وتعاليمه، وإن دينا تكون رحمته شاملة لغير معتنقيه لجدير أن يكتب الله له الخلود والبقاء، ولحقيق بأن تعلو مكارمه على ظلم فلسفات وحضارات أراقت الدماء وخربت البلدان ونشرت الخوف والرعب في مجتمعات كانت آمنة وإنها لجولة ووعد الله لا يتخلف: ﴿**كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال**﴾.

القضاء فى الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن شريعة الإسلام تحفظ الحقوق لأصحابها، وتمنع من الاعتداء عليها ونحذر من عاقبة الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، والذين يتحايلون على اغتصابها، وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما. ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا** ﴾ ففى هذه الآيات تهديد شديد لأولئك الذين يأكلون حقوق الناس ويستولون عليها بالباطل، وفى آية أخرى نهى وزجر عن الأساليب الخادعة الماكرة التى يلجأ إليها الذين يستولون على أموال غيرهم ويسترون بهذه الأساليب جريمتهم ليظهروا أمام الناس بمظهر أصحاب الحقوق، وليسكتوا ضمائرهم حين تتحرك منكرة عليهم ما يفعلون. يقولون قد حكم لنا القضاء، وبأيدينا صكّ يقضى بأن هذا حقنا!! ويغفلون عن أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور. وقد جاء نهى الله عن هذه الأساليب الخادعة فى قوله تعالى ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون** ﴾.

وأرشد رسول الله ﷺ أمة الإسلام إلى سبيل حفظ الحقوق لأصحابها، وأرشد القضاة والحكام إلى أساليب الحكم فى الخصومات والسعى الحثيث

إلى إظهار وجه الحق وإقامة العدل واختبار الشهود ومناقشتهم حتى تستقيم البينات ويكون القاضى- بعد اجتهاده- فى عفو الله إذا أخطأ ، وفى هذا يقول رسول الله ﷺ : «لو أعطى الناس يدعواهم، لا دعى قوم دماء قوم وأموالهم، ولكن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر».

وقد اشتهر قضاة المسلمين بالمساواة بين الخصوم فى المجلس والمخاطبة والمعاملة، وبالاجتهاد فى إقامة العدل ورد الحقوق إلى أصحابها، وكان قضاؤهم مفخرة فى جبين الزمان يحكيه الخلف عن السلف تحدثا بنعمة الله على عباده المؤمنين.

فقد روى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب افتقد درعا له، فلما رجع إلى الكوفة وجد الدرع فى يد يهودى. فقال له: الدرع درعى لم أبع ولم أهب. فقال اليهودى: هى درعى وفى يدى. فقال على: نصير إلى القاضى شريح، فلما صارا إليه وذكرا خصومتهما قال شريح: ألك بينة يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعى. قال شريح شهادة الابن لاتجوز للأب. فقال على: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. فقال اليهودى: أمير المؤمنين قدمنى إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه. أشهد أن هذا هو الحق، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. وأن الدرع درعك.

إن القضاء العادل يحفظ الحقوق ويؤمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ويقى الأمة شر التفرق والاختلاف ويرضى الله ورسوله، وذلك سبيل المؤمنين الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق.

تواضع أمير المؤمنين عمر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فلو كان لأحد أن يزهو بنفسه، وأن يغتر بما فيه من خصائص ومزايا لكان أحق الناس بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فهو قد دخل الإسلام فى حفاوة بالغة من الرسول وصحبه، وهو يرى كيف جهر المسلمون بالإسلام فى نفس اليوم الذى اعتنق الإسلام فيه عمر، ويرى رسول الله ينعته بالفاروق بعد أن فرق الله به بين الحق والباطل، وبين الملاينة والمواجهة ويرى أن الله استجاب فيه دعوة رسول الله ﷺ أن يعز الإسلام بأحد العمرين فكانت الاستجابة فى عمر بن الخطاب، ويرى أنه يقترح على رسول الله بعض آرائه فينزل القرآن موافقا لاقتراحه؛ وفيما بعد يصبح أميرا للمؤمنين بعد أبى بكر الصديق وقد فتح الله الفتوح على يديه، وزادت الأموال والأرزاق ودخل الناس فى دين الله أفواجاً.

كل هذه الخصائص والمزايا التى لم تجتمع لأحد - بعد رسول الله- سوى عمر بن الخطاب كانت كافية لأن تجعله يزهو على الناس ويذكرهم بفضائله وبلائه فى نصرة الإسلام محاربا ومناضلا ومتصديا لكل من يريد أن يمسه بسوء أو مكيدة.

ولكن الزهو والغرور لم يجد أى منهما ثغرة ينفذ منها إلي هذه النفس التى أشربت بالإيمان وصاغتها تعاليم الإسلام وربيت فى مدرسة رسول الله ﷺ وارتوت من أحاديثه وتوجيهاته وملازمته في تصرفاته وحكمته

وقيادته الرشيدة لأمة الإسلام. بل إن عمر كان يأخذ نفسه بالتواضع الذى لا يقوى عليه أحد من الأصحاب سواه، فإذا رأى من نفسه عجبا بأمر فعله أو خير تحقق على يديه سارع بمعالجتها وقهرها لتكون فى موضع الرضى من الله ورسوله، وما كان يسند خيرا تحقق إلى كفاءته وقدرته على سياسة الأمور وإنما كان يرد ذلك إلي الله وإلى الدين الذى أعزه الله به، ولطالما كان يقول لمن معه: «لقد كنا ولسنا شيئا مذكورا حتى أعزنا الله بالإسلام، فإذا ذهبنا نلتمس العز فى غيره أذلنا الله».

قال زيد بن ثابت: رأيت على عمر مرقعة فيها سبع عشرة رقعة، فانصرفت إلى بيتى باكيا، ثم عدت فى طريقى فإذا عمرو وعلى عاتقه قربة ماء وهو يتخلل الناس، فقلت يا أمير المؤمنين. فقال: لا تتكلم وأقول لك، فسرت معه حتى صبها فى بيت عجوز وعدنا إلى منزله، فقلت له فى ذلك، فقال إنه حضرنى بعد مضيك رسول الروم ورسول الفرس، فقالوا لله درك يا عمر، قد اجتمع الناس على علمك وفضلك وعد لك، فلما خرجوا من عندى تداخلنى ما يتداخل البشر، فقمت ففعلت بنفسى ما فعلت.

رحم الله عمر بن الخطاب فقد كان فريدا بين أقرانه، وكان حريصا على أن يبلغ منزلة أبى بكر من تقوى الله ورعاية مصالح عباده.

الحِبُّ بن الحِبّ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

أعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسامة بن زيد من بيت مال المسلمين ضعف ما أعطى ولده عبد الله بن عمر، وكان عمر يفاضل بين الناس فى العطاء على حسب فضلهم فى السبق إلى الإسلام وجهادهم فيه، وخشى عبد الله بن عمر أن يكون عطاؤه المتواضع دليلا على تأخر مكانته وقدره بين المسلمين فسأل أباه عن سبب ذلك؟ قال عمر: «إن أسامة كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك.. وأبوه كان أحب إلى رسول الله من أبيك» لذلك كان لقبه بين الصحابة «الحب بن الحب» فأبوه زيد بن حارثة الذي كان مولى لرسول الله ﷺ وآثر أن يبقى معه ولا يذهب مع أبيه وعمه عندما تعرفوا عليه وطلبوه من رسول الله، فخيره الرسول فاختار أن يكون مع رسول الله ﷺ، فوقف النبى به بين جموع الناس وهو يقول: «أشهدكم أن زيدا هذا ابنى يرثنى وارثه» وظل اسمه بين المسلمين «زيد بن محمد» حتى أبطل القرآن الكريم عادة التبنى .

وولد أسامة بن زيد فى رحاب الإسلام فلم يدركه من دنس الجاهليةشيء ومن مظاهر حب الرسول ﷺ لأسامة أنه أردفه خلفه عند دخوله مكة يوم الفتح العظيم، وشهد الناس هذا الفتى راكبا خلف رسول الله فى يوم النصر على معقل الشرك والمشركين.

وفى سن مبكرة لم تجاوز العشرين عقد الرسول لواء الإمارة لأسامةبن

زيد على جيش فيه شيوخ الأنصار والمهاجرين ومن جنوده عمر بن الخطاب، وجهته إلى الشام لغزو الروم وتأديبهم وقبض رسول الله ﷺ ومايزال الجيش فى مشارف المدينة المنورة وتولى أبو بكر الخلافة وارتد بعض العرب عن الإسلام ومنع آخرون الزكاة وعزم أبو بكر على قتال هؤلاء وهؤلاء، وفى ظل هذه الأحداث القاسية أشار بعض الصحابة على أبى بكر أن يستبقى جيش أسامة فإنه فى حاجة إليه لمواجهة الخارجين على الإسلام، ولكن أبا بكر فى صدق التزامه بما يفعله رسول الله ﷺ » أجابهم بقوله: « والذى نفسى بيده لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر رسول الله ﷺ » ثم نهض أبو بكر واستعرض جيش أسامة وأمرهم بالمسير واستأذن أسامة في أن يترك له عمر بن الخطاب ليكون بجواره فأذن له، وسار أبو بكر مع الجيش ماشيا فقال أسامة: يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل. فقال أبو بكر والله لست بنازل ولست براكب وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة، وسار الجيش إلى تخوم الشام وأصابت الحسرة هرقل امبراطور الروم الذى رأى أن وفاة الرسول لم تمنع المسلمين من إرسال هذا الجيش وخشى قوة المسلمين أقوام كانوا يفكرون فى الخروج على الإسلام ، وعاد جيش أسامة سالما غانما بعد ما حقق أغراضه وألقى الله الرعب فى قلوب أعداء الله وأعداء المسلمين.

إسلام عبد الله بن سلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن رسول الله ﷺ كان معروفا لدى أهل الكتاب، لا يشكون فى معرفته ولكنهم يكتمون ذلك حسدا من عند أنفسهم، وكراهية أن يظهر النبى الخاتم من غير بنى إسرائيل، وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾. وكان أهل الكتاب يعرفون أن نبى آخر الزمان قد تقارب زمانه وكانوا يستنصرون به على أعدائهم من المشركين ويقولون لهم: قد تقارب زمان نبى يبعث الآن، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله محمدا ﷺ ومعه القرآن مصدقا لما بين يديه من التوراة جحدوا نبوته وكذبوا كتابه. وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ﴾. وكان أحبار اليهود يعرفون أوصاف رسول الله ﷺ ويجدونها مكتوبة عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التى كانت عليهم.

وكان عبد الله بن سلام من أعظم أحبار اليهود يعرف صفة رسول الله واسمه وزمانه الذى يترقبونه. وقد هداه الله إلى الإسلام، وكان يحدث عن إسلامه وموقف اليهود منه حين أسلم فيقول: لما سمعت بنزول رسول الله

بقباء فى بنى عمرو بن عوف رفعت صوتى بالتكبير فقالت عمتى حين سمعت تكبيرى. أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ فقلت لها نعم. فقالت: فذاك إذا. قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ ثم جئت رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتى فأمرتهم فاسلموا. قال: وكتمت إسلامى من يهود. ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله. إن يهود قوم بهت– أى أهل كذب وغدر– وإنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك، وتغيبنى عنهم، ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامى، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابونى.

قال: فادخلنى رسول الله ﷺ فى بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلموه وساءلوه ثم قال لهم: أى رجل الحصين بن سلام فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا. قال: فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم، فقلت لهم: يا معشر يهود. اتقوا الله واقبلوا ماجاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه وصفته، فإنى أشهد أنه رسول الله ﷺ وأومن به وأصدقه وأعرفه. فقالوا: كذبت ثم وقعوا بى. قال: فقلت لرسول الله ﷺ: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت، أهل غدر وكذب وفجور! قال: فأظهرت إسلامى وإسلام أهل بيتى، واسلمت عمتى خالدة بنت الحارث فحسن إسلامها.

لقد عرف هذا الحبر الجليل عبد الله بن سلام صدق النبى فآمن به، وكشف طبائع قومه فى كتمان الحق، وتبديل القول، وتحريف الكلم عن مواضعه، إلا من رحمه الله فآمن بالحق الذى عرفه من قبل ﴿ **وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾.

فأين الله ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد

فإن من أركان الإيمان بالله أن يعتقد الإنسان اعتقادا جازما أن الله بكل شيء عليم، وأن علمه محيط بما كان وما يكون وما هو كائن، وأنه على كل شيء شهيد، وأنه يعلم السر وأخفى وأنه كما وصف نفسه: ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو، ويعلم ما فى البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾.

إن المؤمن حين يستحضر شهود الله وعلمه بكل أحواله وأقواله وأفعاله، ويوقن أن الله مطلع على سره وعلانيته، وأنه لن يجد مهربا من الله إلا إليه، فإن ذلك يكون عاصما له من ارتكاب المحرمات واقتراف السيئات التى تغضب الله تعالى والتى أوعد عليها بالخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة.

والقرآن الكريم يثبت هذه العقيدة فى كثير من آياته، وتكرر النداء للمؤمنين ليعلموا أن الله معهم حاضر وشاهد وعليم ومحيط بكل شيء ليزداد الذين آمنوا إيمانا ويأنسوا بقرب الله وتطمئن قلوبهم ونفوسهم إلى حضوره وشهوده معهم فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، ولا يظلم ربك أحدا. وفى الوقت ذاته يفزع العصاة والمذنبون من هذا الحضور والشهود، لعلهم أن يقلعوا عن آثامهم ومعاصيهم، وينخرطوا مع الجماعة المسلمة التى تخشى الله وتراقبه في كل أفعالها وتصرفاتها، والتى بها تقوم الحياة

الكريمة وتتكون الأمم القوية العزيزة الفاضلة.

وفى السلف الصالح مواقف تنطق بخشية الله ومراقبته واستحضار معيته فى كل وقت مما يدعو إلى عمل الصالحات ويمنع من ارتكاب السيئات والمنكرات. من هذه المواقف: أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان فى سفر، فرأى غلاما يرعى غنما، فقال له: تبيع من هذه الغنم واحدة؟ فقال الغلام إنها ليست لى. فقال ابن عمر: قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة؟ فقال العبد: فأين الله؟ فكان ابن عمر يردد إلى مدة مقالة هذا العبد- فأين الله؟

إن هذا العبد الرقيق راعى الغنم عنده من الإيمان بالله وقوة مراقبته والخشية منه ما يمنعه من أن يخون سيده الذى لا يدرى ولا يستطيع أن يعرف ما يفعله غلامه بعيدا عنه وهو يرعى أغنامه فى أرض الله الواسعة. إن هذا العبد الرقيق عنده نفس زكية أمينة قد زكاها وصانها من الموبقات استحضارها لشهود الله وحضوره ومراقبته وحسابه، وإن ابن عمر رضى الله عنه وهو يختبر أمانة هذا العبد قد عثر على نفس زكية راضية مرضية، ولذلك كان يكرر مقالة العبد فى مواقف كثيرة: أين الله؟ ما أحوج المسلمين إلى أن يتأصل فيهم هذا الإيمان الذى يعصمهم من أخذ شىء مما تحت أيديهم من أموال المسلمين وميزانيات أعمالهم ويكفهم عن أكل أموال الناس بالباطل وخيانة الأمانات في كل صورها. وقد قرر الله هذه الحقيقة الإيمانية فى قوله جل شأنه ﴿ **ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض. ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا** ﴾.

أبو لبابة يعاقب نفسه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد

فبينما كان المسلمون يواجهون جيش الأحزاب من المشركين الذين جمعوا جموعهم للقضاء على المسلمين فى المدينة، حتى بلغ عدد هذا الجيش عشرة آلاف مقاتل، وهو عدد يزيد على جميع من فى المدينة من النساء والصبيان والشباب والشيوخ، وكان الموقف عصيبا والهجمة شرسة لولا أن المسلمين حفروا خندقا يفصل بينهم وبين هذا الجيش الذى جاء يحمل عداوة الشرك وآثام الوثنية يقذف بهما أمة التوحيد التى أسلمت لله رب العالمين .

فى هذا الموقف العصيب على المسلمين تآمرت قريظة عليهم من خلفهم ونقضت العهد الذى بينها وبين رسول الله ﷺ ، وانحازت إلى المشركين واتفقت معهم على أن تأتى المسلمين من خلفهم وعرف المسلمون ذلك فزلزلوا زلزالا شديدا . وتدارك الله أمة الإيمان بعونه ورحمته فأرسل على المشركين ريحا شديدة قوضت خيامهم وكفأت قدورهم وأفسدت جمعهم فرحلوا خائبين مدحورين . . ﴿ **وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا** ﴾ .

ولما رجع رسول الله ﷺ والمسلمون معه إلى المدينة جاءه أمين الوحى جبريل عليه السلام وأمره أن ينهض بمن معه إلى بنى قريظة . فأمر رسول الله ﷺ مؤذنا فأذن فى الناس : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة .

وحاصر المسلمون حصون هؤلاء الخائنين الذين خانوا الله ورسوله ونقضوا العهد فى وقت الحرب وانضموا إلى المحاربين ضد رسول الله والمؤمنين، وطال الحصار مدة ألقت الرعب فى قلوبهم وزلزلت نفوسهم فطلبوا إلى رسول الله ﷺ أن يرسل إليهم صاحبه أبا لبابة بن عبد المنذر الأنصارى ليستشيروه فأرسله إليهم. فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش النساء والصبيان يبكون فى وجهه، فرق لهم وكان حليفهم قبل إسلامه، وسألوه: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم. وأشار بيده إلي حلقه يقول إنه الذبح. وعرف من فوره أنه خان الله ورسوله، فمضى على وجهه وربط نفسه فى عمود من عمد المسجد وقال: «لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله على مما صنعت» قال ابن هشام: «أقام أبو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال - تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع» ثم نزلت توبة الله عليه فى قوله تعالى: ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم**﴾ وبشر أبو لبابة بتوبة الله عليه، وقام الناس ليطلقوه فأبى أن يطلقه أحد إلا رسول الله ﷺ. فلما مر به رسول الله خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه، وهكذا عاقب أبو لبابة نفسه في إشارة جاءت منه على غفلة رأى فيها إفشاءً لسر رسول الله ﷺ وكشفا لما ينوى عمله بأعدائه، وأحس بأنه خان الأمانة فحكم على نفسه ونفذ الحكم دون أن يرجع إلى النبى ﷺ، ولو أنه رجع إليه لاستغفر الله له على ما فرط منه، ولكنه الصدق فى الإيمان والولاء، والأمانة فى طاعة الله ورسوله.

سعد بن معاذ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فقد كان إسلام «سعد بن معاذ» آية من آيات الله الباهرة، ومفاجأة من مفاجآت القدر المذهلة، فقد خرج من بيته ومعه حربته قاصدا بيت ابن خالته «أسيد بن زرارة» لأن فى هذا البيت «مصعب بن عمير» مبعوث رسول الله ﷺ ليبشر بالإسلام فى يثرب ويقرأ على الناس آيات من القرآن، وما إن وصل سعد إلى حيث يجلس مصعب حتى سمع كلمات من نور حملت هداية الله إلى قلبه، فألقى حربته وأعلن إسلامه وصار منذ ذلك اليوم جنديًا من أوفى جنود الإسلام إخلاصا وعطاء، وجاءت غزوة بدر وكان الرسول وأصحابه قد خرجوا لملاقاة عير أبى سفيان التى تحمل تجارة قريش، ولم يكونوا مستعدين لحرب ولا قتال، ولكن العير أفلتت ووجد الرسول والمسلمون معه أنفسهم وجها لوجه أمام جيش المشركين الذى يبلغ ثلاثة أضعاف عدد المسلمين والذى تجهز للقتال بالخيل والعتاد والسيوف والرماح والسهام.

وإزاء هذا الموقف العصيب المفاجئ رأى النبى ﷺ أن يستشير أصحابه فقال: أشيروا على أيها الناس فقام أبو بكر وأحسن القول وقام عمر وأحسن القول، وقام المقداد بن عمرو فقال وأحسن. وهؤلاء الثلاثة من المهاجرين وأحب رسول الله ﷺ أن يسمع من الأنصار ويعرف رأيهم لأن بيعة العقبة لا تلزمهم بالقتال خارج المدينة. فقال: اشيروا على أيها الناس،

يريد بذلك الأنصار، وفطن إلى ذلك قائد الأنصار وحامل لوائهم «سعد بن معاذ» فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله. فقال: أجل.

فقال سعد: «لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت،فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر فى الحرب، صدق فى اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقرّبه عينك فسر بنا على بركة الله» فسرّ رسول الله ﷺ بقول سعد بن معاذ، ثم قال: «سيروا وابشروا فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم» وكانت معركة بدر وكان النصر للمسلمين فى أول لقاء ومواجهة بين الحق والباطل، والتوحيد والشرك، والإسلام والجاهلية. ولقد كان فى موقف سعد وقوله أصدق تعبير عن قلب ملأه الإيمان، وعمره الإخلاص لله ولرسوله، وأعظم عنوان على شجاعة هذا الفارس من جنود الله، ففى الشدائد تظهر معادن الرجال، وعند الامتحان والابتلاء يعرف الأبطال، رحم الله سعد بن معاذ قائداً وفارسا ومجاهدا ثم شهيدا فى نصرة الإسلام.

الإيمان يهزم الطغيان

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله ومن اهتدى بهداه.. وبعد

فإن معارك الإيمان فى مواجهة الشرك والطغيان كانت كثيرة ومتنوعة، ضرب الصحابة فيها أروع الأمثلة فى التضحية والفداء، مؤثرين الاستشهاد مع الإيمان على الحياة مع الخذلان– وحديثنا عن أحد هؤلاء الأبطال فى موقف إيمانى رائع، كان يستطيع فيه أن ينقذ حياته لو أنه هادن الكفر بكلمة يقولها بلسانه، وقلبه مطمئن بالإيمان، ولكنه آثر العزيمة على الرخصة والمرتبة العليا على ما دونها. ذلك هو الصحابى المجاهد الصابر « حبيب بن زيد ».

كان إسلام حبيب مبكرا فهو من السبعين الذين بايعوا رسول الله ليلة العقبة وأمه « نسيبة بنت كعب » كانت إحدى المرأتين اللتين حضرتا هذه البيعة المباركة.

ولقد عاش إلى جوار رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة لايتخلف عن غزوة ولا يقعد عن واجب.. وذات يوم شهدت الجزيرة العربية كذا بَيْن يدعيان النبوة ويسوقان الناس إلى الضلالة. خرج أحدهما بصنعاء وهو « الأسود بن كعب العنسى ». وخرج الآخر باليمامة وهو « مسليمة الكذاب ».

وتجرأ مسليمة وفجر فى كذبه وأرسل كتابا إلى رسول الله ﷺ يقول فيه: « من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله.. سلام عليك. أما

بعد، فإنى قد أشركت فى الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون».

ورد الرسول على هذا الكذاب الفاجر بكلمات من نور الحق والهدى فى كتاب قال فيه: «من محمد رسول الله إلى مسليمة الكذاب. السلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء ومن عباده والعاقبة للمتقين..». وحمل رسول مسليمة الكتاب إلى الكذاب الذى ازداد ضلالا وإضلالا. ثم أرسل إليه رسول الله كتابا ينهاه فيه عن حماقاته ووقع اختياره عليه السلام على « حبيب بن زيد » ليحمل الرسالة إلى مسليمة.

وسلم حبيب الرسالة إلى مسليمة وما إن قرأها حتى جن جنونه وكشف الموقف عن نفس خبيثة لا تعرف مكارم الأخلاق فأنزل أشد العذاب بحامل الرسالة «حبيب» مع أن الرسل لا يقتلون ولا يعذبون فى العرف السوى. ثم جمع مسيلمة جموعه وجاء بحبيب وقد انهكه التعذيب وسأله أمام الجموع: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال حبيب نعم أشهد أن محمدا رسول الله. قال مسيلمة وقد أصابه الخزى: أتشهد أنى رسول الله. قال حبيب ساخرا: إنى لا أسمع شيئًا. وتكرر السؤال وتكررت الإجابة، ونادى مسيلمة جلاده الذى أخذ يقطع جسد «حبيب» قطعة قطعة وعضواً عضوا. وحبيب يرفع الصوت عاليا: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» واستشهد حبيب صابرا محتسبا وصبر رسول الله الذى كان يرى بنور الله مصير مسليمة الذى قتله جيش المسلمين فى معركة «اليمامة» فى عهد أبى بكر الصديق، وانتصر الإيمان على الطغيان وتحقق وعد الله ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾.

كعب بن مالك

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله ومن اهتدى بهداه . . وبعد

فقد رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من غزوة تبوك والمسلمون معه بعدما من الله عليهم بتفرق أعدائهم من الرومان وحلفائهم، وبعدما عظمت هيبتهم فى نظر الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر ويدبرون لهم المكائد .

ولما قدم الرسول ومن معه المدينة المنورة جاء المنافقون يعتذرون عن تخلفهم عن الخروج معه، يعتذرون بأنواع شتى من الأعذار، وصاروا يحلفون له، فقبل رسول الله علانيتهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى .

وكان ثلاثة من المؤمنين الصادقين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله فى هذه الغزوة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، فلما سألهم رسول الله عن سبب تخلفهم اختاروا الصدق وأقروا بذنبهم فأمر رسول الله ﷺ الصحابة أن لا يكلموا هؤلاء الثلاثة حتى يقضى الله فيهم بأمره، وقاطعهم المسلمون مقاطعة شديدة ولبثوا على ذلك خمسين ليلة حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه .

قال كعب بن مالك : أما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، وكان من شأنه أنه يشهد الصلاة

مع المسلمين، ويطوف بالأسواق ولايكلمه أحد، ويأتى رسول الله ﷺ ويسلم عليه. يقول: وما أدرى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا.

وبينما كعب يمشى فى سوق المدينة إذا نبطى من أهل الشام يسأل الناس عنه، والناس يشيرون له حتي جاءه فدفع إليه كتابا من ملك غسان، فقرأه كعب فإذا فيه: أما بعد. فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولامضيعة، فالحق بنا نواسك- أى نحسن إليك ونكرمك- فقال كعب حين قرأ الكتاب: وهذا أيضا من البلاء- أى الاختبار- فذهب بالكتاب نحو التنور وأحرقه. ولما مضت أربعون ليلة أرسل رسول الله ﷺ إلى هؤلاء الثلاثة أن يعتزلوا نساءهم ولا يقربوهن حتى يقضي الله فى أمرهم. ومضت عشر ليال حتى كملت خمسين ليلة. ونزل القرآن بتوبة الله على هؤلاء الثلاثة الذين صدقوا الله ورسوله، وبشرهم الناس وفرحوا بعفو الله ونزل فيهم قول الله تعالى: ﴿**لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاذ يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم**﴾.

قال كعب: فوالله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد إذ هدانى إلى الإسلام أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله ﷺ ألا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا الله ورسوله. وجلس كعب بين يدى رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله. إن الله تعالي إنما أنجانى بالصدق، وإن من توبتى ألا

أحدث إلا صدقا ما بقيت.. والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله تعالى فيما بقى.

رحم الله كعب بن مالك فقد كان قدوة طيبة للصادقين الصابرين الذين لا يبيعون أوطانهم لضر يصيبهم فيها ولا يقبلون بموالاة الله ورسوله والمؤمنين بديلا.

النجاشى داعية إسلامى

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله ومن اهتدى بهداه . . وبعد

فإن الإسلام يجمع قلوب المسلمين وأفئدتهم على كلمة الحق، وفى رحابه تزول القبليات والعصبيات والأجناس والعروق، وينصهر كل المسلمين فى بوتقة الإيمان بالله الواحد الذى ألف بين قلوبهم وقال لنبيه محمد ﴿ **وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم** ﴾.

والمسلمون فى ظل إيمانهم بالله الواحد الأحد وبرسوله محمد ﷺ وبرسالات الأنبياء والمرسلين قبله تجمعهم رابطة هذا الإيمان وهى رابطة أغلى وأقوى وأعز من رابطة الانتساب إلى الآباء والأجداد، فهم إخوة متحابون فى الله الذى حكم بأن يكونوا أمة واحدة لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى.

﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ وقد تآخى فى الله أصحاب رسول الله ﷺ وكان فيهم الحبشى والرومى والفارسى ولم يكن ذلك ليؤثر فى أخوتهم شيئا، ولم يشعر غير العربى أنه غريب فى مجتمع المسلمين من المهاجرين والأنصار، بل إن الرسول ﷺ كان يؤكد دائمًا لدى أصحابه أن رابطة الإيمان هى التى تجمع القلوب والعقول والعواطف وأنه ليس لسواها قيمة أو أثر يلتفت إليه فيقول: «سلمان منا آل البيت» ويقول: «ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل» وقد تأكدت هذه الرابطة بين

المسلمين الأولين حتى إن أحدهم إذا أحب إنسانا غير مسلم أهدى إليه هذا النور الذى بعث الله به رسوله، ودعاه إليه حبا له وحرصا على هدايته ونجاته. وقد كان من هذه المواقف الإسلامية المجيدة ما فعله النجاشى ملك الحبشة مع صديقه وحبيبه «عمرو بن العاص» فقد كانت بينهما صلة حميدة وعلاقة صداقة وطيدة، ولما تأخر إسلام عمرو بن العاص وهو العربى الذى عايش الدعوة من أول ظهورها سأله النجاشى- فى إحدى زياراته له- لماذا لم تؤمن يا عمرو، وتتبع محمدا وهو رسول الله حقا..؟ وسأل عمرو النجاشى قائلا: «أهو كذلك حقا؟» قال النجاشى: «نعم. فأطعنى يا عمرو واتبعه فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه» وركب عمرو البحر متوجها إلى المدينة وبايع رسول الله ﷺ على الإسلام، وبذلك أهدى النجاشى الحبشى إلى المسلمين قائدا عربيا وعظيما من عظماء مكة وسادتها، كانت على يديه فتوحات للإسلام مجيدة ومنها فتح مصر.

إن الإيمان لايفرق بين عربى وأعجمى، وإن أخوة المؤمنين أوثق من أخوة الأنساب، وحين يتحقق ذلك فى المسلمين ينجز الله لهم وعده بالنصر والتمكين فى أرض الله.

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾.

خبرة عمرو بن العاص وذكاؤه

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله ومن اهتدى بهداه . . وبعد

فمنذ أسلم عمرو بن العاص قبيل فتح مكة بقليل، ومنذ مد يده مبايعا رسول الله ﷺ مشترطا أن يغفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومنذ طمأنه الرسول العظيم بقوله : « إن الإسلام يجبّ ما قبله يا عمرو » منذ ذلك التاريخ الذى فتح الله فيه قلب وعقل عمرو بن العاص للإسلام صار من أكفأ جنود الإسلام خبرة قتال ودهاء سياسة وإخلاصا لله عسى الله أن يكفر عنه ما كان قد أساء به إلى المسلمين قبل إسلامه .

فنراه وقد دعاه الخليفة الأول أبو بكر الصديق ليكون أحد قادة المسلمين على جيش من الجيوش التى وجهها لفتح الشام- نراه يكتب للخليفة بقوله : « إنى سهم من سهام الإسلام، وأنت عبد الله الرامى بها، والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها فارم بى فيها » .

كلمات تنبئ عن اخلاصه لدين الله وثقته فى قدرته على العطاء واستعداد تام لتلبية النداء فى أى مكان تختاره الخلافة الراشدة مهما كان صعبا وخطيرا .

ونراه بعد أن اشتبك مع الروم في معركتين انتصر فيهما يشير بخبرته العسكرية على قادة الجيوش الإسلامية أن يجتمعوا فى مكان واحد فاستحسنوا رأيه واتفقوا على أن تجتمع الجيوش عند نهر اليرموك وكتبوا لللخليفة بذلك فوافق على هذه الخطة الجديدة التى أشار بها القائد الخبير

بالحروب عمرو بن العاص.

ونراه فى فتح مصر وتحريرها من ظلم الرومان وقسوتهم على قبط مصر- قد عمل على أن تكون الحرب بينه وبين الروم، وأن يباعد أهل مصر وأقباطها عن المعركة ليظل القتال محصورا بينه وبين جنود الرومان الذين يحتلون البلاد ويسرقون أرزاق أهلها.

من أجل ذلك نجده يتحدث إلى زعماء النصارى وكبار أساقفتهم يومئذ وكان مما قاله لهم: « لقد أخبرنا نبينا أن مصر ستفتح علينا، وأوصانا بأهلها خيرا فقال: «ستفتح عليكم بعدى مصر، فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لهم ذمة ورحما» ولما فرغ عمرو من كلماته صاح بعض الأساقفة والرهبان قائلا: «إن الرحم التى أوصاكم بها نبيكم لهى قرابة بعيدة ، لا يصل مثلها إلا الأنبياء» وكانت هذه بداية طيبة للتفاهم بين «عمرو» وأقباط مصر.. وإن يكن قادة الرومان قد حاولوا العمل لإحباطها، ولكن النتيجة كانت فى مصلحة مصر التى تحرر أهلها من عبودية الرومان وظلمهم ، وكانت خسائر الحرب معظمها واقعة على الرومان، ولم يصب من أهل مصر إلا من شارك فى المعارك- وكان ذكاء عمرو بن العاص فى تأمين القبط من الأسباب التى أدت إلى هداية الكثيرين منهم واعتناقهم دين الإسلام الذى جعل الله رسالته رحمة للعالمين.

موقف العقلاء من الشائعات

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله ومن اهتدى بهداه . . وبعد

فإن الناس أمام الشائعات فريقان؛ أحدهما يأخذ الشائعة ويطير بها ينشرها بين الناس، ويؤكدها كأنها حقيقة ثابتة ويؤذى بذلك الأبرياء الذين شاعت حولهم هذه الأكاذيب، وهؤلاء لايتخلقون بأخلاق المسلمين، ولا يسلكون سبيل المؤمنين ويستحقون عقاب الدنيا وعذاب الآخرة إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . وفريق آخر يظن يالمسلمين خيرا . ولا ينقل خبرا يسيء إلى واحد أو جماعة من المسلمين، ويحمل حال أخيه على الصلاح فلا يلصق به تهمة أو مذمة إلا إذا كانت واضحة وضوح الشمس فى رائعة النهار . وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : «إذا علمت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع »ومجتمع المسلمين لا تروج فيه الشائعات التى لا دليل عليها، لأن عقلاءهم يستنكرون ما يسمعون من هذه الشائعات ويستجيبون لتوجيه الله فى قوله : ﴿**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين**﴾ وقد نزلت هذه الآية فى حادثة الإفك التى تولى كبرها رأس النفاق ورئيس المنافقين «عبد الله بن أبى بن سلول » ووقع فى هذا الإفك أفراد من المؤمنين لم ينصفوا جماعة المسلمين وهم بعض منهم فلم يظنوا بأنفسهم وإخوانهم خيرا وقالوا الكذب والإفك والبهتان المبين . أما العقلاء فقد احتكموا إلى عقلهم وذكروا إيمان وصلاح من تفترى الشائعة عليهم، وهم صفوان بن المعطل

السلمى ، وعائشة أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ ، فقاسوا هذين المؤمنين الصالحين على أنفسهم، ورأوا أن ما رميا به إفكا وزورا يبعد وقوعه من أنفسهم هم، فحكموا أن وقوعه ممن هم خير منهم أشد بعدا. فها هو ذا أبو أيوب الأنصارى يقول لزوجته أم أيوب: ألا ترين ما يقال؟ فقالت له: لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا؟ قال: لا. فقالت: ولو كنت أنا بدل عائشة- رضى الله عنها- ما خنت رسول الله- ﷺ- فعائشة خير منى وصفوان خير منك. وهكذا كان موقف المؤمنين مما أذاعه المنافقون من الافتراء والكذب على عائشة أم المؤمنين الطاهرة العفيفة التقية المؤمنة زوج رسول الله ﷺ وقد قال الله فى شأن أزواجه ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ وقد تحقق ما أراده الله لهن.

وعاتب الله هؤلاء الذين انجرفوا مع إفك المنافقين ، وأوضح لهم المسلك الإيماني الذى كان يجب عليهم أن يسلكوه فقال: ﴿**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين**﴾

الحبة المباركة

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله ومن اهتدى بهداه .. وبعد

فهل رأيت زارعا يوم الحصاد وقد تهلل وجهه فرحا وبشرا بما أنعم الله عليه من ثمار طيبة وحصاد وفير، إنه يكاد يطير من الفرح بهذا المحصول الذى لم يكن يتوقعه على هذه الوفرة والكثرة والحسن والجودة، إنه ربح بكل حبة زرعها فى الأرض الطيبة سبعمائة حبة، وما يظن أن أحدا من الزراع قد وصل إلى مثل هذا الربح . إنه بعد فضل الله عليه يذكر أنه تعهد زرعه بعناية كبيرة فوضع بذوره فى أرض طيبة تجود الزراعة فيها، وسقاه بماء طيب، وأبعد عنه كل ما يؤذيه من الحشائش الضارة، وأخلص فى عمله فكافأه الله بهذا المحصول الوفير .

هذا مثل يشرح الصدور ويغرى الراغبين فى الربح الكثير والكسب المحبوب أن يكونوا من هذا النوع الذى يزرع الخير ويحميه من أسباب فساده وضياع ثمرته فلا يتعاظم به على الناس، ولا يحبط عمله ويفسد زرعه بالافتخار والمباهاة، والمن على من أحسن إليه بالمعروف الذى فعله معه، فإن هذه الآفات الخلقية تفسد زراعة المعروف وتجعله غير مثمر فى دنيا الناس .

وقد ضرب الله هذا المثل للذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله، وأرشدهم إلى ترك ما يفسد إنفاقهم ويضيع أجورهم، حتى لا تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون . وفى هذا الإرشاد البليغ يقول الله تعالى : ﴿ **مثل**

الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم. الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾.

هذا المثل يقدمه الله تعالى لعباده المؤمنين ليسارعوا إلى الإنفاق فى وجوه الخير والبر ولتكون الأموال فى أيديهم وسيلة لإغاثة الملهوف وتفريج كربة المكروب وإعانة المحتاج والمسارعة إلى كل خير، مع ثقتهم بأن الله ينمى عطاءهم ويجزل مثوبتهم عليه ويومئذ يفرحون بما ربحوا من ثواب الله وعطائه، كمثل الحبة التى زرعت فى أرض طيبة وأصابها الغيث، فخرجت على هيئة زرع جميل وبارك الله فيها فانبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.

ذكر بعض المفسرين أن هاتين الآيتين نزلتا فى صدقة عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان، وذلك أن رسول الله ﷺ حث الناس على الإنفاق حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله. كانت لى ثمانية آلاف فأمسكت لنفسى وعيالى أربعة آلاف، وأربعة آلاف أقرضتها الله ربى. فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت» وجاء عثمان بألف دينار فوصفها فى حجر رسول الله ﷺ فرفع رسول الله يديه يدعو لعثمان ويقول: «يارب عثمان إني رضيت عن عثمان فارض عنه».

هذه نماذج المؤمنين الأولين جدير بنا أن نتأسى بهم فى العطاء والإنفاق فى سبيل الله حتى يضاعف الله لنا الأجر والثواب ويجزينا بفضله أحسن الجزاء.

بخ بخ . ذلك مال رابح

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد

فإن الله تعالى إذا أراد الخير بأمة جعل الأموال فى أيدى الصالحين منها، يجمعونها من الوجوه التى أحلها الله تعالى، وينفقونها فى البر والخير ومنافع العباد، يعلمون أن المال ملك الله وأنهم خلفاء فيه لمدة محدودة وأجل معلوم، وأن الله سائلهم عن هذا المال يوم القيامة، من أين اكتسبوه، وفيم أنفقوه؟ هؤلاء الذين استجابوا لله فيما دعاهم إليه من الانفاق فى سبيل الله فى قوله جل شأنه : ﴿**آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير**﴾ فالمال فى يد الرجل الصالح يكون غوثا للمكروبين، وتفريجا لهم المحتاجين، ويكون عونا للأمة فى أزماتها وسلاحا فى نحور أعدائها، والرسول ﷺ يقول : « نعم المال الصالح فى يد العبد الصالح » . ولقد ضرب السلف الصالح أروع المثل فى البذل والإنفاق من أموالهم فى سبيل الله ونصرة دينه وإعلاء كلمته، فكانوا يسارعون فى الخيرات لا يمنعهم من الانفاق شح ولا بخل ولا خوف من الأيام وتصاريفها، فكان لهم من المواقف الإنسانية ما يحكيه التاريخ ويسطره لهم بأسطر من نور، فقد روى الشيخان عن أنس بن مالك قال : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحبَّ أمواله إليه ببرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان الرسول ﷺ يدخلها ويشرب من ماء طيب فيها . قال أنس : فلما نزلت هذه الآية : ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . .**﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله .

إن الله تعالى يقول فى كتابه: ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾ وإن أحب أموالى إلىّ بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال رسول الله ﷺ: بخ بخ. ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت. وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين- قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه. أولئك الذين صدقوا الله فى إيمانهم فوقاهم الله شح نفوسهم «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون».

من السجن إلى المعركة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن موقف هذا الفارس المسلم الذى سنتحدث عنه موقف عجيب يكشف عن نفس مؤمنة راضية بقضاء الله، لا يقعدها شىء عن المبادرة إلى نصرة الله وإعلاء كلمته، والانضمام إلى جنود المسلمين مقاتلا أشد ما تكون المقاتلة، فهو يخرج من محبسه ويفك قيده ولا يطيق صبرا أن يظل حبيسا وجيش المسلمين يقاتل الفرس فى معركة القادسية، تلك المعركة الرهيبة التى كانت تحتاج إلى كل فارس شجاع يعرف حق دينه ووطنه عليه ويسارع إلى أداء هذا الحق مستجيبًا لأمر الله فى قوله: ﴿ **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾.

هذا الفارس الذى نتحدث عنه هو «أبو محجن الثقفى» كان قد حبسه قائد جيش المسلمين «سعد بن مالك» وقيده فى قصره عقابا له على أبيات قالها فى مدح الخمر وفى أمله أن يدفن فى أصل كرمة تروى عظامه عروقها. فرأى سعد القائد أن مثل هذه الأبيات لا تليق بمسلم يعلم أن الله حرم الخمر على المسلمين، فحبسه وقيده.

ودارت معركة القادسية بين الفرس والمسلمين واشتد أوارها، فعز على أبى محجن أن يقاتل المسلمون ويظل هو فى محبسه وقيده وهو الفارس الذى لا يشق له غبار، فتوسل إلى زوج سعد أن تحل قيده وأن تعيره البلقاء فرس سعد وأقسم لها إن رده الله سالما ليرجعن إليها ويضع رجله فى القيد،

فرقّت له وقدرت شوقه للقتال وأطلقته وأعطته البلقاء فرس سعد فركبها وكبر وهو يحمل على جيش الفرس ويقصف جنودهم قصفا تعجب الناس منه وهم لا يعرفونه، وكان سعد يقول: لولا محبس أبى محجن لقلت إنه هو وهذه البلقاء، فلما انتصف الليل وتوقف القتال رجع أبو محجن إلى القصر ووضع رجليه فى القيد، وحدثت سلمى زوجها سعدا فى شأن أبى محجن وأخبرته بما فعل فدعا به سعد وأطلق سراحه واعتذر أبو محجن بأنه كان صاحب شراب فى الجاهلية وأنه جرى الشعر على لسانه يمدح الخمر وما ذاقها منذ أسلم. فقال سعد: ما أنا مؤاخذك بشىء تقوله ما لم تفعله. وقال أبو محجن والله لا أجيب لسانى إلى صفة قبيحة أبدا. وسجل التاريخ خبر هذا الفارس الذى لم يمنعه قيده عن نصرة دينه وإعزاز أمته.

إنى فى جند المسلمين ولا أريد فراقهم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد

فإن صحابة رسول الله ﷺ كالنجوم الزاهرة والكواكب المضيئة، هم أعلام الهدى وحملة الرسالة وسادات الأمة صاغهم الله فأحسن صياغتهم واختصهم بما جعلهم أهلا لصحبة خاتم الأنبياء والمرسلين، الواحد منهم أمة، والمجاهد الفرد منهم يكفى مددا لجيش يطلب المدد، كان ذلك سمة غالية فيهم، وإن كانوا يتفاوتون فى المكارم ويتنوعون فيها فمنهم الحفاظ والعلماء والزهاد والفرسان والقادة وأهل الرأى والقضاء والصابرون الذين لا تلين لهم قناة، ولا تضعف لهم أمام المكاره عزيمة . وكان من أعلام هؤلاء الأصحاب رجل من السابقين الأولين فى الإسلام، كان إسلامه فى اليوم التالى لإسلام أبى بكر وكان اسلامه على يدى الصديق نفسه ذهب به إلى رسول الله فأعلن بين يديه كلمة الحق، وعاش هذا العملاق تجربة المسلمين القاسية فى مكة وشهد بدرا مع رسول الله وكان أحد الحماة المدافعين عنه فى أحد وهو الذى انتزع بأسنانه حلقتى المغفر اللتين دخلتا فى وجنة رسول الله يوم أحد وقد كسرت له ثنيتان من أسنانه وهو ينزع هاتين الحلقتين .

سماه الرسول أمين هذه الأمة، وكان حقا أمينها فى كل مواقفه، ففى يوم السقيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ واجتماع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة يتشاورون فى أمر الخلافة وقد لحق بهم المهاجرون هناك قال عمر بن الخطاب لأمين الأمة أبى عبيدة عامر بن الجراح : ابسط يدك أبايعك، فإنى

سمعت رسول الله ﷺ يقول إن لكل أمة أمينا وأنت أمين هذه الأمة. ففال أبو عبيدة: ما كنت لأتقدم بين يدى رجل أمره رسول الله أن يؤمنا فى الصلاة. وكانت البيعة لأبى بكر الصديق، وكان أبو عبيدة أمينا فى رأيه ونصحه وخير عون لأبى بكر ثم لعمر من بعده، وتولى أبو عبيدة قيادة جيش المسلمين فى فتوحات الشام وفتح الله على يديه هذه البلاد التى كانت تدين للروم، ونصر الله المسلمين تحت قيادته ثم دهم بلاد الشام طاعون جعل يحصد الناس حصدا، وخاف عمر على أبى عبيدة من هذا الطاعون فأرسل يستقدمه إليه فى المدينة قائلا فى كتابه: إن لى بك حاجة فأسرع بالقدوم إلىّ، وفهم أبو عبيدة مقصد الخليفة عمر، فكتب إليه يقول: يا أمير المؤمنين إنى قد عرفت حاجتك إلىّ. وإنى فى جند المسلمين ولا أجد بنفسى رغبة عن الذى يصيبهم، ولا أريد فراقهم حتى يقضى الله فى وفيهم أمره.

وبقى القائد مع جنده وأصابه الطاعون وأوصاهم قبل وفاته ولقى الله راضيا مرضيا، وبكى عمر على وفاة أبى عبيدة وبكت الأمة قائدا مغوارا وعلما قل أن يجود الزمان بمثله. ولحق أبو عبيدة رفاقه من الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

أبو عبيد الثقفى وعهد الأمان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن الله تعالى أمر المسلمين فى كتابه الكريم أن يوفوا بالعهد ، وألا ينقضوا الأيمان بعد توكيدها، ولو لاحت لهم مصالح فى نقض هذا العهد وعدم الإلتزام به وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون** ﴾ وفى القرآن آيات كثيرة تحث المسلمين على الوفاء بعهودهم، وتحذرهم من خيانة من عاهدوه، فإن الله لايحب الخائنين. وقد استجاب رسول الله ﷺ لأوامر ربه فكان القدوة الحسنة فى الوفاء بالعهد والالتزام الكامل بما يعطيه من أمان أو ذمة، ويحذر المسلمين من أن يخفروا ذمة الله ورسوله، ويمضى فى ذلك إلى درجة أن من يحصل على أمان من واحد من المسلمين يصبح آمنا لا يتعرض له أحد باهدار هذا الأمان وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : « المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم ». واستجاب المسلمون لهذه التوجيهات استجابة كاملة وظهرت فى علاقاتهم الدولية، وحروبهم مع أعدائهم، واعطائهم الأمان لفرد أو لجماعة. وقد تجلى ذلك فى مواقف كثيرة نذكر منها ما فعله القائد أبو عبيد الثقفى فى معركة « النمارق » التى كانت بين المسلمين والفرس فى السنة الثالثة عشرة للهجرة وفى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه. ففى هذه المعركة واجه المسلمون جيشا كبيرا للفرس بعدده وعدته فى مكان يقال له النمارق بين الحيرة والقادسية والتقى الفريقان واقتتلوا اقتتالا شديدا وكان جيش الفرس بقيادة « جابان »

وانتهى القتال بنصر المسلمين وأظفر الله فيه أبا عبيدة بچابان وجنوده، وأسر أحد جنود المسلمين « چابان » ولم يدر أنه قائد جيش الفرس، وكان چابان كبير السن فخدع آسره وقال له : « إنكم معشر العرب أهل وفاء، فهل لك أن تؤمننى، وأعطيك غلامين أمردين خفيفين فى عملك وأعطيك كذا وكذا، فأعطاه الأمان . قال « چابان » فأدخلنى على أميركم حتى يكون ذلك بمشهد منه، فأدخله على أبى عبيد فعرفه الحاضرون وقالوا لأبى عبيد اقتله فإنه الأمير وقائد الجيش فأجابهم أبو عبيد : « وإن كان الأمير فإنى لا أقتله وقد أمنه رجل من المسلمين . فالمسلمون فى التواد والتناصر كالجسد الواحد ، مالزم بعضهم فقد لزم كلهم » واطلق سراحه، ووفى أبو عبيد بالأمان الذى أعطاه أحد جنوده وقد تبين له أن الأسير الذى بين يديه هو القائد والأمير فى جيش الفرس . ولم يرض أن ينقض أمانا أعطاه أحد جنود المسلمين، وهكذا علم المسلمون الدنيا كلها الالتزام والوفاء بالعهود وعدم نقض الأمان وإن ظهرت مصلحة مؤكدة فى العدول عنه، كما علموهم أن الحرب لا تعنى التحلل من مكارم الأخلاق، والتعلل بأنها من الظروف الطارئة التى تهدر فيها الحرمات فإن شريعة الإسلام تلزم المسلمين بالوفاء ورعاية الحقوق مهما كانت الظروف .

عمر بن الخطاب وفتاه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن دين الإسلام هو فطرة الله التى فطر الناس عليها، وإن الدلائل على أنه الحق واضحة جلية، ساقها القرآن الكريم فى مواضع كثيرة يخاطب بها ذوى العقول والألباب ويدعو الناس إلى التفكر والتدبر فى آلاء الله ومخلوقاته وما أودع سبحانه فى هذا الكون من آيات تدل على وحدانيته وقدرته وابداعه فى الخلق والرزق وتيسير معايش العباد على هذه الأرض، وقد ترك الله لعباده الاختيار الحر بعد تقديم هذه الأدلة وبعد الانذار والتحذير من مغبة الشرك والاعراض عن دين الله، ثم يقرر الله تعالى فى عبارة صريحة واضحة هى كالإعلان لكل الناس أن الله لايجبر أحدا على الدخول فى الإسلام ولا يكلف رسوله ولا المسلمين أن يكرهوا أحدا على الدخول فى هذا الدين القويم، وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿**لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**﴾ والاكراه حمل الغير على قول أو فعل لايريده عن طريق التخويف أو التعذيب أو ما يشبه ذلك من صور الاكراه الحسية والمعنوية، ومعنى الآية واضح تمام الوضوح وهو توجيه إلهى للرسول ﷺ وللمسلمين فى كل زمان ومكان. أى لا تكرهوا أحدا على الدخول فى دين الإسلام فإنه واضح فى دلائله وبراهينه، فمن هداه الله ونور بصيرته دخل فيه على بصيرة واختيار منه، ومن أعرض عن الإيمان به وأبى الدخول فيه لايكرهه أحد على اعتناق هذا الدين، فإن الإيمان إذعان قلبى واتجاه بالنفس والجوارح إلى الله رب العالمين بإرادة حرة مختارة.

وفى هذا يقول الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾ ويقول جل شأنه : ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر** ﴾ .

واستجاب الرسول لأوامر ربه وحث المسلمين على الاستجابة لها، والتزم المسلمون ذلك ولم يخرجوا على هذه الأوامر الصريحة على المستوى العام والخاص، فكانوا إذا فتحوا بلدا لايكرهون أحدا من أهله على الإسلام ولا يضيقون على غير المسلمين فى حياتهم ليدفعوهم إلى الإيمان بالإسلام دفعا، فكانت بلاد المسلمين تضم فى جنباتها المسلم وغير المسلم لا يفتن أحد فى دينه، ولا يضيق عليه فى رزقه وحياته وعلى مستوى العلاقات الفردية لا يمارس المسلم سيطرة ولا سلطة على غير المسلم بسبب الاختلاف فى الدين، ونسوق صورة تبين هذه السماحة التى مارسها المسلمون استجابة لتعاليم دينهم، فقد كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه مملوك نصرانى اسمه « وُسق الرومى » قال : كنت مملوكا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه– وكان يقول لى : اسلم . فإنك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين، فإنه لا ينبغى لى أن أستعين على أمانتهم من ليس منهم . قال : فأبيت . فقال : ﴿ **لا إكراه فى الدين** ﴾ قال : فما حضرته الوفاة أعتقنى وقال : اذهب حيث شئت » لم يمارس خليفة المسلمين ضغطا على مملوكه ليدخله فى الإسلام واحترم حريته فى الاعتقاد ثم أحسن إليه وأعتقه وهو على غير الإسلام، وإنه لموقف إنسانى كريم وتطبيق عملى لتعاليم الإسلام فى عدله وسماحته وحفظه لحرية الإنسان وكرامته .

الوفاء بالعهد فريضة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن الوفاء بالعهد فريضة إسلامية، يحرم على المسلم أن ينقض العهد الذى يعطيه، أو الأمان الذى يمنحه، فالمؤمنون لا يغدرون، ولا ينقضون عهودهم، امتثالا لأمر الله القائل: ﴿ **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا** ﴾ وقد أمر الله رسوله محمدا ﷺ.. إذا كان بينه وبين قوم عهد وظهرت له بوادر الخيانة منهم فلا يعاجلهم بنقض عهده معهم حتى يبلغهم بما عزم عليه من إنهاء معاهدته معهم لأنهم فعلوا ما يوحى بخيانتهم ونقضهم لمواثيق عهودهم مع المسلمين. قال الله تعالى فى هذا الشأن: ﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لايحب الخائنين** ﴾ والمعنى: وإما تعلمن يا محمد من قوم بينك وبينهم عهد أنهم على وشك نقضه منهم بأمارات تلوح لك تدل على غدرهم، فاطرح إليهم عهودهم على طريق مستو ظاهر. بأن تعلمهم بنبذك عهدهم قبل أن تحاربهم، حتى تكون أنت وهم فى العلم بنبذ العهد سواء، لأن الله لايحب الخائنين، وإن من مظاهر الخيانة التى يبغضها الله تعالى أن يحارب أحد المتعاهد معه دون أن يعلمه بإنهاء عهده.

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة عن أبى الفيض عن سليم ابن عامر قال: كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم ليقرب منها. حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فإذا شيخ على دابة يقول: الله أكبر، الله أكبر، وفاء لا غدرا: إن رسول الله ﷺ قال:

« من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة، ولا يشدها حتى ينقضى أمدها أو ينبذ إليهم على سواء » قال : فبلغ ذلك معاوية فرجع . فإذا بالشيخ عمرو بن عبسة .

وروى الإمام أحمد عن سلمان الفارسى أنه انتهى إلى حصن أو مدينة فقال لأصحابه : دعونى أدعوهم كما رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم . فقال مخاطبا أهل الحصن : إنما كنت رجلا منكم فهدانى الله إلى الإسلام . فإن أسلمتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا، وإن أنتم أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون، فإن أبيتم نابذناكم على سواء، إن الله لايحب الخائنين، يفعل بهم ذلك ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها بعون الله » .

إن تعاليم الإسلام لا تبيح للمسلمين أن يأخذوا أعداءهم على غرة، أو أن ينقضوا عهودهم من جانب واحد والآخرون لا يعلمون، وتعتبر ذلك خيانة يجب أن يتجنبها المسلمون فى عهودهم ووعودهم، فقد جاء الإسلام رحمة للعالمين، وكانت بعثة محمد ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، حتى ولو ظهرت بوارد الخيانة من الآخرين، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون .

حقن الدماء أولى من الإمارة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فقد كان ما كان من المعارك وسفك الدماء بين جيش على بن أبى طالب كرم الله وجهه وجيش معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، فكلاهما من صحابة رسول الله ﷺ، ولكل منهما من المناقب والمحامد ما يذكر له عند ذكر محاسن الناس، فعلى كرم الله وجهه أول من آمن من الصبيان، وقد نام فى فراش رسول الله يوم الهجرة، وشهد مع رسول الله مشاهد الغزوات وله فيها جولات وبطولات، وزوّجه رسول الله ﷺ ابنته فاطمة وأنجب منها زينة شباب أهل الجنة: الحسن والحسين.

ومعاوية بن أبى سفيان من صحابة رسول الله ﷺ ومن كتاب الوحى بين يدى الرسول وشهد معه غزوة حنين وأعطاه رسول الله من غنائم حنين مائة من الإبل وأربعين أوقية من الذهب واشترك معاوية فى معركة اليمامة فى عهد أبى بكر رضى الله عنه واشترك فى حروب الشام وأبلى فيها بلاء حسنا، وأخته أم حبيبة زوج رسول الله وأم المؤمنين.

وانتهت الحرب بين على ومعاوية باستشهاد على كرم الله وجهه فى العام الأربعين من الهجرة وبايع الناس ابنه الحسن بعد استشهاد أبيه واجتمع له أربعون ألف مقاتل تحت إمرة قيس ابن سعد أمير أذربيجان، وكانوا بايعوا عليا على القتال حتى الموت. إلا أن الحسن رضى الله عنه لم يكن فى نيته أن يقاتل أحدا، فبعث إلى معاوية يراوضه على الصلح بينهما، فبعث إليه معاوية عبدالله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة فقدما

عليه الكوفة وتفاوضا معه وتم الصلح على أن يتنازل الحسن عن إمارة المسلمين لمعاوية ابن أبى سفيان، واجتمعت بذلك كلمة المسلمين وحقنت الدماء، وفرح معظم الناس بما فعله الحسن بن على، وسموا هذا العام عام الجماعة، وكان نزوله عن الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وقد ساء هذا التنازل بعض الذين كانوا يريدون الحرب وقتال معاوية، ولكن الحق والخير فيما فعله الحسن رضى الله عنه، وكان رسول الله ﷺ قد بشر بما فعله الحسن وامتدحه على ذلك وكانت بشارته بذلك من دلائل نبوته صلوات الله وسلامه عليه. فقد روى من طرق عدة أن رسول الله ﷺ كان يحدث أصحابه يوما والحسن بن على فى حجره، فيقبل على أصحابه فيحدثهم ثم يقبل على الحسن فيقبله ثم قال: « إن ابنى هذا سيد إن يعش يصلح الله به بين فئتين من المسلمين ».

لقد تحققت بشارة رسول الله التى بشر بها أصحابه والحسن صغير فى حجر رسول الله ﷺ، وأثبت الحسن بن على بتنازله عن الإمارة لحقن دماء المسلمين - أنه فرع من تلك الدوحة المباركة فهو ابن بنت رسول الله ﷺ، وأبوه على كرم الله وجهه وأمه فاطمة بنت الرسول. قال الحسن بن أبى بكرة بعد ما ذكر الحديث: فوالله ما أريق بعدها ملء محجمة بدم

رحم الله الحسن بن على فقد آثر مصلحة المسلمين على رئاسته وإمارته، وجمع الله به الكلمة، ورأب الصدع، وأعاد الأمن والسلام فى ربوع بلاد المسلمين.

من مواقف الصحابيات

فاطمة لا تجد خادما

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن ملاهى الحياة الدنيا ومفاتنها وزينتها صرفت الأبصار والهمم والعقول عن المكارم والمحامد، والتعرف على القدوة الحسنة التى تهدى إلى الفضائل وتعين على طاعة الله ورسوله، وتحبب إلى النفوس طريق الوصول إلى محبة الله ومرضاته، وتزهدها فى الشهوات والملذات وعبث العابثين. ونحن إذ نقدم للنساء هذه القدوة الحسنة وهذا السراج المنير وهذه الشخصية النقية الزكية الطاهرة فى حياتها وسلوكها ورعاية أسرتها هى التى أخبرها رسول الله ﷺ بأنها سيدة نساء هذه الأمة أو سيدة نساء المؤمنين، هى فلذة كبده، وصغرى بناته، وشبيهته فى مشيته كما قالت السيدة عائشة عنها. زوجها رسول الله ﷺ من ابن عمه على بن أبى طالب وهى تقارب العشرين ربيعا وما لها ولا لزوجها فراش غير جلد كيس يناماه عليه بالليل ويستخدمانه بالنهار وما يقوم بخدمة البيت أحد سواها. فقد قال زوجها على يصف حياته وحياتها فى بيت الزوجية قال: كانت ابنة رسول الله ﷺ ، وأكرم أهله عليه، وكانت زوجتى- فجرّت بالرحى حتى أثرت الرحى بيديها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمّت البيت- أى كنسته- حتى أغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها، وأصابها من ذلك ضر.

ذهبت فاطمة إلى أبيها وقد جاءه سبى إحدى الغزوات- تطلب منه أن يعطيها خادما يعاونها فى أعمال بيتها ورعاية أولادها فقد أنجبت الحسن

والحسين وزينب وأم كلثوم-فماذا قال لها أبوها رسول الله وهى أحب أهله وأكرمهم عليه. قال وعلى معها يسمع، والله لأعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفقه عليهم، ولكنى أبيعهم- أى الرقيق- وأنفق عليهم أثمانهم، وهكذا كانت رحمة رسول الله ﷺ بأمته وهو ولى أمرها، يرى أن ابنته يمكن أن تصبر على متاعبها أما غيرها من فقراء الأمة لا يستطيعون الصبر على بطونهم الجائعة، فهم أحق وأولى بتلبية حاجتهم من ابنته حبيبته وفلذة كبده.

ثم جاء الرسول إلى ابنته فاطمة وزوجها وقد دخلا فى فراش لهما، إذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فأرادا القيام فقال رسول الله ﷺ : مكانكما.

ثم قال: ألا أدلكم على خير مما سألتمانى؟ إذا أخذتما مضجعكما، أو أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم. قال على: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ .

يا نساء المسلمات هذه فاطمة الزهراء فى بيتها وفى رعايتها لزوجها وأولادها ورضاها بحياتها وهذا رسول الله ﷺ فى ولايته للأمة وتلبية حاجتها مؤثرا فقراءها على أحب أهله وأكرمهم عليه. لعلنا نقتدى بهذه القدوة الحسنة ففى ذلك خير الدنيا والآخرة.

أسماء بنت عميس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ومن والاه وبعد :

فإن « أسماء بنت عميس » أسلمت فى نفس اليوم الذى أسلم فيه زوجها ابن عم رسول الله ﷺ « جعفر بن أبى طالب » وكانا من السابقين الذى حملوا نصيبهم من الأذى والاضطهاد فى شجاعة وغبطة وصبر فى ذات الله . ولما اشتد أذى قريش للمسلمين، أذن لهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة وهاجرت « أسماء بنت عميس » مع زوجها « جعفر بن أبى طالب » حيث لبثا بالحبشة سنين عددا، رزقا خلالها بأولادهما الثلاثة محمد وعبدالله وعوف .

وكان جعفر المتحدث اللبق الموفق الذى وقف أمام النجاشى أمبراطور الحبشة يشرح له مكارم الإسلام، ويعرّف بما جاء به رسول الله ﷺ من الهداية والنور، وكان ذلك ردا على سؤال وجهه النجاشى إلى المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة وقد أرسلت قريش مبعوثين لإرجاعهم إلى مكة وتشويه صورتهم أمام أمبراطور الحبشة .

وفى وقار مهيب جلس النجاشى على كرسيه تحف به الأساقفة ورجال الحاشية وسأل : « ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم، واستغنيتم به عن ديننا ؟ » .

وقام جعفر فى تؤدة وجلال يقول : أيها الملك . . كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسيئ الجوار . . حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله

لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان . . ثم استطرد يذكر مكارم الإسلام وفضائله وما فعله قومهم من الإيذاء والقهر . . وانتهت المحاورة بخذلان مبعوثى قريش وعودتهما خائبين، وتأمين المسلمين فى الحبشة وقال لهم النجاشى : « اذهبوا فأنتم آمنون بأرضى ومن سبكم أو آذاكم فعليه غرم ما يفعل » .

ومرت الأيام والسنون وهاجر الرسول والمسلمون إلى المدينة ثم لحق بهم الذين كانوا فى الحبشة ووصلوا إلى المدينة وقد انتصر رسول الله ﷺ على يهود خيبر وفتحها، وعانق رسول الله جعفر قائلا : « لا أدرى بأيهما أنا أُسرّ : بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » .

ودخلت زوج جعفر « أسماء بنت عميس » على السيدة حفصة زوج رسول الله ﷺ وحضر عمر بن الخطاب لزيارة ابنته وسألها : من هذه؟ فقالت : أسماء بنت عميس . قال عمر لأسماء : سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم . فغضبت وقالت : كلا يا عمر، كلا والله . . كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم وكنا فى أرض البعد بالحبشة وذلك فى ذات الله عز وجل وأيم الله لا أطعم طعاما، ولا أشرب شرابا حتى أذكر له ما قلت .

وذكرت أسماء لرسول الله ﷺ ما قال عمر وما ردت به عليه، فقال رسول الله ﷺ : « ليس بأحقّ بى منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم يا أهل السفينة هجرتان » . وفرحت أسماء وذاع هذا الوسام النبوى لدى مهاجرى الحبشة العائدين فما كان فى الدنيا شىء هم أفرح به ولا أعظم فى أنفسهم مما قاله الرسول لهم، وحُقَّ لهم أن يفخروا بهجرتهم وجهادهم فى سبيل الله .

أم عمارة تقاتل بين يدى رسول الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ومن والاه وبعد

فإن المرأة المسلمة فى الصدر الأول من الإسلام لم تكن بمعزل عما يجرى من الأحداث، ولم يكن من شأنها الموقف السلبى الذى ترضى به ربات الخدور، فإن الإسلام أنقذ المرأة من مهانة الجاهلية وعبثها، وكرمها ورفع مكانتها وجعل عملها الصالح مقبولا عند الله لا ينقص من قيمته أنه صادر من امرأة، فالله تعالى يقول: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ والرسول ﷺ يقول: «النساء شقائق الرجال». وعرفت المرأة المسلمة مكانتها فى الإسلام وآمنت بوجوب نصرة هذا الدين القيم. فتراها فى الحروب التى شنها المشركون ضد المسملين تدفع أولادها إلى المعركة، وتشجعهم وتحثهم على الجهاد فى سبيل الله، وضربت المرأة فى ذلك أروع الأمثال فى الحث على القتال ثم فى الصبر على من استشهد من الآباء أو الأزواج أو الأبناء فكل مصيبة تهون إلا هزيمة هذا الدين الذين آمنت به وتفانت فى حب رسوله محمد ﷺ وإن للمرأة فى صدر الإسلام مواقف كثيرة تجسد هذه المعانى النبيلة، وتكشف عن المعدن الأصيل للمسلمة الصادقة فى إيمانها.

ففى غزوة أحد كان النصر فيها بادئ الأمر للمسلمين حتى طاردوا فلول جيش المشركين وأصابوا من غنائمهم، ورأى الرماة الذين يحمون ظهور المسلمين أن النصر قد تحقق، فتركوا أماكنهم -مخالفين بذلك أمر رسول الله ﷺ، وانتهز خالد بن الوليد وكان قائد خيل المشركين- هذه

الفرصة فالتف بالخيل وهاجم المسلمين من ظهورهم، واضطربت الأمور وفوجئ المسلمون بما لم يكن فى حسبانهم، وأحيط بالمسلمين من الأمام والخلف، ووقعوا بين شقى الرحى. وأشاع المشركون أن محمدا قد قتل، وكانت طائفة من المسلمين لم يكن يهمهم إلا رسول الله ﷺ تقاتل دونه، والمشركون يريدون أن يخلصوا إليه، وهنا ظهرت بطولات إسلامية صنعها الإيمان القوى الصادق، كان أبوطلحة يسور نفسه بين يدى رسول الله ﷺ ويرفع صدره ليقيه سهام العدو، وكان رجلا راميا كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة.

وكان من بين المدافعين عن رسول الله فى هذا الموقف العصيب أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية، وقد حدثت عن نفسها قالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعى سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ هو وأصحابه والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ أباشر القتال وأذب عنه بالسيف، وأرمى عن القوس واعترضت ابن قمئة وهو يقول: دلونى على محمد لا نجوت إن نجا، وكان معى مصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربنى على عاتقى ضربة تركت جرحا أجوف، وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان فنجا.. وبقيت أم عمارة تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحا. ونجا رسول الله وبقيت هذه الجراح فى جسد أم عمارة أوسمة تشهد ببطولة المرأة المسلمة وجهادها فى سبيل الله.

صحابية تسترد زوجها الهارب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن بعض نساء العرب كان له من المواقف ما ينبئ عن الفطنة والذكاء والعقل الراجح، بل يدل على الموقف الإيجابى الذى تتخذه المرأة العربية تعبيرا عن إحساسها بوجوب أن تتحرك وتعمل لتأييد إيمانها بدين الإسلام فهى لا تضع يدها على خدها، أو تجلس باكية شاكية والأمور تتحرك من حولها دون أن يكون لها تأثير فى حركتها واتجاهها. إن كرائم النساء العربيات المسلمات لهن من المواقف المعبرة عن الإيمان والمؤثرة فى مجريات الحوادث ما يدل على عزيمة قوية وإصرار على تأييد الحق الذى هداهن الله إليه.

وحديثنا عن موقف صحابية لم ترض على نفسها أن تنجو وحدها من ظلمات الشرك وجهالاته وتترك زوجها يفرّ من وجه الحق الزاحف والإسلام الغالب، مؤثرا النجاة بجسده بينما روحه لاتزال مكبلة بأغلال الجاهلية وأوزارها.

هذه الصحابية التى أنقذت زوجها الهارب من الإسلام هى أم حكيم بنت الحارث بن هشام وزوجها هو عكرمة بن أبى جهل. وكان عكرمة من الذين حاربوا المسلمين فى بدر، وكان بجوار أبيه الذى يقود جيش المشركين ويحرض على استئصال شأفة المسلمين، وكان عكرمة أكبر عون لأبيه على هذا الصنيع حتى إنه عندما وصل الغلام معاذ بن عمرو بن

الجموح إلى مكان أبى جهل أثناء المعركة وضربه بالسيف ضربة أطارت قدمه، سارع عكرمة بضرب هذا الغلام على عاتقه ضربة طرحت يده. ومرت الأيام وفتح الله على المسلمين مكة فى السنة الثامنة من الهجرة وأهدر رسول الله ﷺ دماء أشخاص من أكابر المجرمين وأمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، وكان عكرمة بن أبى جهل من هؤلاء الذين أهدرت دماؤهم، وهرب عكرمة من مكة قاصدا بلاد اليمن وركب البحر وقد ترك زوجه أم حكيم التى أسلمت وآمنت بالله ورسوله.

ويحدثنا عكرمة أن البحر اضطرب بهم وهاجت أمواجه فجعل الناس يرفعون أصواتهم يدعون الله أن ينجيهم ويوحدونه فى الدعاء لا يذكرون شيئا من معبوداتهم. فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله وحده. قال: هذا إله محمد الذى يدعونا إليه. وبدأت دعائم الشرك تتزلزل فى نفسه.

أما زوجه المسلمة أم حكيم فقد استأمنت له رسول الله ﷺ فأمنه. فخرجت مسافرة إليه حتى لقيته وأخبرته بأمان رسول الله ﷺ فعاد معها ولقيه النبى مرحبا قائلا: مرحبا بالراكب المهاجر، مرحبا بالراكب المهاجر. قال عكرمة: والله يا رسول الله لا أدع نفقة أنفقتها عليك إلا أنفقت مثلها فى سبيل الله. وحسن إسلام عكرمة واستشهد فى معارك الإسلام فى خلافة أبى بكر الصديق.

وهكذا أنقذت أم حكيم زوجها الهارب من الإسلام وأعادته إلى حيث الإيمان والأمان.

المؤمنة الصابرة ذات النطاقين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن من عباد الله من اختصهم الله بقوة الإيمان، وثبات العقيدة وتحمل الشدائد فى الجهاد فى سبيل الله، ونصرة دينه، لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فهم يستعذبون العذاب ويستهينون بأعداء الله مهما كانت القوة المادية بين أيديهم، فهم يعتزون بالله رب هذا الوجود، ويجدون فى مرضاته عزاء عن كل شر وضر. وليس ذلك فى الرجال وحدهم، فإن من نساء الإسلام فضليات يتيه الزمان بمثلهن وتفخر الأجيال بتاريخهن المشرق المضيء الذى يبعث فى نفوس المؤمنين قوة وفخرا، وفى قلوبهم إيمانا ويقينا بأن وعد الله غالب فهو القائل فى محكم كتابه: ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾.

وفى القمة من فضائل هؤلاء الفضليات تلك التى دخل الإيمان قلبها وهى فتاة غضة الاهاب، فجعل منها مجاهدة صابرة، أثبتت الأيام فى تعاقبها نمو هذا الإيمان فى قلبها، وتعاظم الصبر على الشدائد كإحدى سجاياها، تلكم هى المؤمنة المجاهدة الصابرة ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

كانت ممن سبق إلى الدخول فى الإسلام، إيمانا بالله ورسوله، وظهر تعبيرها عن هذا الإيمان بموقفها الرائع فى هجرة الرسول ﷺ وأبيها أبى بكر رضى الله عنه، فكانت تحمل إليهما الطعام تزودهما به، ولما لم تجد ما

تشد به طعامهما شقت نطاقها، الذى يحيط بوسطها وشدت به الطعام فسماها الرسول ذات النطاقين.

ومرت الأيام وتزوجت أسماء الزبير بن العوام فكانت له نعم الزوجة، تعلف فرسه وتدق النوى وتستقى الماء وتنقل النوى والطعام من أرض الزبير إلى منزله مسيرة ميلين فكانت مثلا طيبا للزوجة المؤمنة راعية البيت والزوج والولد.

ولما حوصر ابنها عبدالله فى مكة وخذله الناس واستشار أمه، كانت مشورتها ناطقة بعزيمة الصدق ونصيحة الثبات على الحق، وكانت قولتها المشهورة: « والله لضربة بسيف فى عز أحبُّ إلىّ من ضربة بسوط فى ذل ».

رحم الله أسماء فى المجاهدات المؤمنات الصابرات وجعلها قدوة للنساء المسلمات.

من مواقف المؤمنين

إمام دار الهجرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإن إمام دار الهجرة مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى، جده الأعلى على أبوعامر صحابى جليل شهد المشاهد كلها مع النبى ﷺ إلا بدرا، وجده الأدنى مالك من كبار التابعين وعلمائهم. ولد مالك بالمدينة المنورة سنة ٩٣هـ وطلب العلم من علمائها وأخذ الحديث عن نافع مولى ابن عمر. قال البخارى: أصح الأسانيد «مالك عن نافع عن ابن عمر»، ويسمى علماء الحديث هذا السند باسم «السلسلة الذهبية». ولما بلغ سبع عشرة سنة شهد له شيوخه بالحديث والفقه فجلس للفتيا والحديث. وقد ذاع صيته فى جميع الأقطار وارتحل الناس إليه وازدحموا على بابه لطلب العلم، ومكث يفتى ويعلم الناس نحوا من سبعين سنة، وهو من الأئمة الأعلام الذين أجمع الناس على إمامتهم وعلمهم ودينهم وورعهم وتلقوا اجتهاداتهم فى الأحكام بالقبول والتقدير. وللإمام مالك كتابه «الموطأ» وقد أقام فى تأليفه وتهذيبه نحوا من أربعين سنة وقد رتبه على أبواب الفقه وجمع فيه أحاديث رسول الله ﷺ مرتبة حسب هذه الأبواب، وقد اهتم به علية العلماء وشرحوه ودرسوا أسانيده احتفاء به وتقديرا له من الناحية العلمية التى بلغ فيها مبلغا كريما.

وللإمام مالك موقف إسلامى كريم، يدل على تواضعه، وزهده فى الشهرة والجاه، وحرصه على إسداء النصيحة خالصة لوجه الله تعالى، فقد

أخبرنا محمد بن عمر قال: سمعت مالك بن أنس يقول: لما حج أبوجعفر المنصور دعانى، فدخلت عليه فحادثته، وسألنى فأجبته فقال: إنى قد عزمت أن آسر بكتبك هذه التى وضعتها -يعنى الموطأ- فتنسخ نسخا، ثم أبعث إلى كل مصرٍ من إمصار المسلمين منها بنسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها لا يتعدوه إلى غيره، ويدعوا ما سوى ذلك من العلم المحدث، فإنى رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم. قال فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا، فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا به من اختلاف الناس وغيرهم، وإن ردهم عما قد اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم. فقال: لعمرى لو طاوعتنى على ذلك لأمرت به.

إن هذا الموقف العظيم من إمام دار الهجرة مالك بن أنس ليفصح عن نفس كريمة تقدر للآخرين علمهم ورواياتهم فى الحديث وثقة الناس بهم وتأبى أن تنفرد بالعلم وحمل الناس عليه وتلك لعمرى مكرمة تليق بهذا الإمام الجليل وتستحق أن يتأسى بها العلماء والمنصفون.

الإمام مالك يأبى أن يكون أنانيًا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن بعض أهل العلم يسره أن ينتشر علمه وأن تلهج الألسنة بالثناء عليه، وأن ينزله الناس منزلة تفوق منازل أقرانه من العلماء، وربما سعى إلى بلوغ ذلك وحرص عليه، ولكن الإمام مالك وهو إمام دار الهجرة النبوية الشريفة وأحد الأئمة الأربعة الأعلام، والمجتهد فى جمع أحاديث رسول الله ﷺ وسنته، قد واتته الفرصة لشهرة لا ينالها أحد من بعده، ولمنزلة يتمناها العلماء والمجتهدون وأولو العزائم الكبيرة من أهل الرأى والفكر فقد طلب منه أمير المؤمنين أبوجعفر المنصور أن يكتب كتابا يجمع فيه سنة رسول الله ﷺ وفقه الصحابة والتابعين وعلم أهل المدينة وقال له: ضع للناس كتابا أحملهم عليه.

فكلمه مالك فى ذلك. فقال: ضعه، فما أحد أعلم منك. فوضع الموطأ. ويعد الموطأ أول كتاب دُوِّن فى السنة فقد كان الناس قبله يعتمدون على ذاكرتهم، وقد ابتدأ فى تدوينه فى عهد أبى جعفر المنصور، ولكن لم يتم فى عهده بل أتمه فى عهد المهدى.

وقد حاول المهدى ومن بعده الرشيد أن يحملا الناس على ما فى الموطأ من علم وفقه حتى يكون الدين واحدا ويجتمع الناس على فقه أهل المدينة التى كان فيها صحابة رسول الله الذين تلقوا العلم منه وحملوه إلى من بعدهم من التابعين حتى انتهى العلم إلى الإمام مالك وقد جمع علم كبار الصحابة وعلم صغارهم فكان جديرا بثقة الخليفة أبى جعفر المنصور ومن

بعده المهدى وهارون الرشيد وكلهم يقدرون هذا العلم ويحرصون على أن يأخذ الناس به ويتبعوه، ويحكى الإمام مالك مشاورة الرشيد له فى ذلك فيقول: شاورنى هارون الرشيد فى ثلاث: أن يعلق الموطأ فى الكعبة ويحمل الناس عليه، وفى أن ينقض منبر النبى ﷺ ويجعله من جوهر وذهب وفضة، وفى أن يقدم نافع بن أبى نعيم إماما يصلى بالناس فى مسجد رسول الله ﷺ . فقلت: يا أمير المؤمنين أما تعليق الموطأ فى الكعبة فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا فى الفروع وتفرقوا فى الآفاق، وكل عند نفسه مصيب، وأما نقض منبر رسول الله ﷺ واتخاذك إياه من جوهر وذهب وفضة، فلا أرى أن تحرم الناس أثر النبى ﷺ، وأما تقديمك نافعا إماما يصلى بالناس فى مسجد رسول الله ﷺ فإن نافعا إمام فى القراءة، لا يؤمن أن تبدر منه بادرة فى المحراب فيحفظ عليه. فقال: وفقك الله يا أبا عبدالله. رحم الله الإمام مالك بن أنس إمام المدينة المنورة وفقيه الحجاز فقد ضرب المثل الكريم لمن بعده فى نكران الذات والحرص على أن يعطى الآخرين حقهم فيما قاموا به فقد عرض عليه ثلاثة من الخلفاء أن يحملوا الناس على علمه وفقهه وحده دون علم وفقه غيره فأبى ولم يرض لنفسه أن ينفرد برياسة العلم والفقه وكان بذلك كريم النفس منصفا.

سبط رسول الله يوبخ المنافقين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن النفاق صفة مذمومة مرذولة، لا يتصف به كريم، ولا يلجأ إليه إلا ذليل ومن استمع للمافقين ولم يردعهم فهو مشارك فى آثامهم وإن المؤمن يمقت هذا الصنف من الناس الذى يظهر خلاف ما يبطن، والذى يقول خلاف ما يعتقد، وقد حقر القرآن الكريم مسلك المنافقين، فقال الله تعالى: ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾ وكشف الله تعالى خبيئة نفوسهم وسيئات خداعهم فقال جل شأنه: ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون، الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون** ﴾ ولقد كان للسلف الصالح مواقف مع هؤلاء المنافقين تكبتهم وتخزيهم وتقطع عليهم طريق النفاق حتى يسلم الناس من شرورهم. فقد رُوى عن على بن الحسين سبط رسول الله ﷺ أنه أتاه قوم من أهل العراق ينافقونه ويظهرون تشيعهم للإمام على وآله، فقالوا فى أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم. فلما فرغوا قال: ألا تخبرونى من أنتم؟ أنتم الأولون المهاجرون ﴿ **الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون** ﴾ قالوا: لا. قال: أنتم ﴿ **الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾؟ قالوا: لا. قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين. ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين

قال الله فيهم : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا** ﴾ اخرجوا فعل الله بكم كذا وكذا . . هذا الموقف الإسلامى درس لكل مسلم يريد أن يواجه النفاق مواجهة حاسمة تقطع أوصاله وتحمى المجتمع من شروره وخداعه . وتعطى درسا لكل من تسول له نفسه أن يتسلق أو يتملق على حساب الشرفاء ﴿ **يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ إن هذا الصنف من الناس خطره عظيم وضرره جسيم يفوق خطر الكافرين الظاهرين ولذلك فإن جزاءهم عند الله أن يكونوا فى أسوأ وأحقر مكان فى النار . . ﴿ **إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا** ﴾ .

عمر بن عبدالعزيز ووحدة الأمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فعندما اشتد المرض بسليمان بن عبدالملك أحد خلفاء بنى أمية شغله التفكير فيمن يتولى أمور الدولة من بعده، ولم يكن أحد من أولاده يصلح لذلك، فهم صغار لا يستطيع أحد منهم أن يقوم بأعباء الخلافة أو يقارب القيام بهذه الأعباء.

وانتهى تفكير الخليفة سليمان إلى أن يعهد بالخلافة من بعده إلى عمر ابن عبدالعزيز وقال عندما استقر رأيه على ذلك قولته المأثورة: «والله لأعقدن لهم عقدا لا يكون للشيطان فيه نصيب».. وكتب وصيته بذلك وأغلق كتاب الوصية وجعله سرا لا يكشف إلا بعد وفاته، وأمر جميع أمراء بنى أمية أن يبايعوا من استخلفه واستودع الوثيقة اسمه، ولما مات سليمان وفتح كتاب وصيته كان العهد بالخلافة لعمر بن عبدالعزيز الذى يعرف الناس جميعا سيرته الطيبة وقد سارت الأخبار بعدله وحلمه وحبه لوحدة الأمة واستقرار أمرها وعمله الدءوب عندما كان واليا على المدينة –فى عهد الوليد بن عبدالملك– على إقامة العدل، ومقاومة الظلم، والتنديد بمظالم الحجاج بن يوسف الثقفى وأمثاله من الذين يستبيحون دماء المسلمين بالشبهة ويرهبون الناس بقسوتهم ويملأون القلوب رعبا بطغيانهم وجبروتهم ظنا منهم أن ذلك يوطد أركان ملك بنى أمية ودولتهم.

ورث عمر بن عبدالعزيز مجتمعا ممزقا يتربص بعضه ببعض، وقد

أفسدته القبلية والطائفية وأضحى الناس لا يأمن الواحد منهم أخاه وظهرت الفرق التى يناوئ بعضها بعضا ويعادى بعضها بعضا إلى درجة حمل السلاح ووقوع القتال بينها . . وجد عمر بن عبدالعزيز أن حال الأمة على هذا النحو لا يبشر بخير ولا ينهض بعزائم الأمور فعمل جاهدا على إقامة الحق والعدل، وجمع كلمة الأمة ورأب صدعها وتأمين شاردها وتأييد المحسن فيها، وضرب المثل فى المحافظة على وحدة الأمة وامتد إيمانه بالوحدة وفهمه لها إلى وضع الأقليات ، فأكد أنها جزء من جسم الأمة ولها حق العدل والأمن والرعاية فيها، وقد شجع ذلك نصارى دمشق فجاءوا إليه يشكون أن الوليد بن عبدالملك قد هدم جزءًا من كنيسة يوحنا بدمشق وضم أرضه إلى المسجد الأموى الكبير . . فماذا يصنع الخليفة أمام هذه الشكوى؟ إن أقصى ما يستطيعه حاكم عادل فى مثل هذا الموقف هو أن يعطى تعويضا سخيا أو أرضا بديلة يرضى بذلك الشاكين، ولكن عمر ابن عبدالعزيز ضرب مثلا أعلى فى موقف إسلامى رائع فأصدر أمره بهدم ذلك الجزء من المسجد وإعادة الأرض إلى الكنيسة، ودارت الأرض بعلماء دمشق وفقهائها وكلموا الخليفة فى ذلك، فأصدر أمرا جديدا حدد فيه اليوم الذى يجب أن تتم فيه عملية الهدم والتسليم. وفى رضاء نفسى من هذا الموقف العادل الذى بلغ القمة التقى نصارى دمشق بعلمائها وأبرموا اتفاقا يرضونه وجاء وفد الفريقين إلى الخليفة لإبلاغه نبأ الاتفاق فيحمد الله ثم يقره ويرضاه، وكان هذا الموقف مما سجله التاريخ من مفاخر هذا الإمام العادل الحريص على وحدة الأمة وتلاحم نسيجها.

كظم للغيظ وعفو وعتق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن سيرة السلف الصالح مليئة بالمواقف التى تدل على أنهم كانوا يختارون معالجة الأمور بالرفق والحلم والأناة وأنهم كانوا يبتعدون عن العنف ما استطاعوا اقتداء برسول الله ﷺ الذى امتدحه الله تعالى بقوله: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾ والذى كان يعلم أصحابه الرفق قولا وعملا فهو ينصح المؤمنين بقوله ﷺ: «إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إل شانه» رواه مسلم. ويقول: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» وكان يقول لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: «يا عائشة ارفقى، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرا دلهم على الرفق». وفى رواية: «إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق». وكان تعامله مع أهل بيته وأولاده وأحفاده ومع المسلمين والناس جميعا حتى المسيئين منهم تعاملا يتسم بالرحمة والرفق والأناة ومقابلة السيئة بالحسنة فكان للمسلمين مثلاحيا وقدوة حسنة يقتدون بها ويتحلون بالمكارم التى يرونها واضحة فى تصرفات رسول الله ﷺ وأخلاقه.

ومن المواقف التى تدل على التزام المهتدين بهدى رسول الله ﷺ وبما اتصف به الرسول من الرفق والحلم والأناة، ما روى أن غلاما لزين العابدين كان يصب له الماء بإبريق مصنوع من الخزف، فوقع الإبريق على رجل زين العابدين فانكسر وجرحت رجله، فقال الغلام على الفور: يا سيدى. يقول

الله تعالى: ﴿**والكاظمين الغيظ**﴾ فقال زين العابدين: لقد كظمت غيظي. قال الغلام: ويقول: ﴿**والعافين عن الناس**﴾ فقال: لقد عفوت عنك. قال الغلام: ويقول: ﴿**والله يحب المحسنين**﴾ قال زين العابدين: أنت حر لوجه الله تعالى.

إن هذا الموقف يعجب له الإنسان أشد العجب، فقد كان الموقف فى أوله مفزعا للغلام الذى أخطأ وأدى خطؤه إلى إيذاء سيده وجرح رجله، وكان الغلام يخشى ما ينزله به سيده من عقوبة بسبب الخطأ الذى وقع منه، ولكن الموقف انتهى نهاية سعيدة لهذا الغلام، فقد حرره سيده وأخرجه من الرق والعبودية.. فهو لم يهدئ روعه وفزعه فحسب وإنما أحسن إليه إحسانا رد إليه حريته وكرامته وما فعل زين العابدين ذلك إلا استجابة لأمر الله ورغبة فيما عنده من الثواب الجزيل لمن يكظم غيظه ويعفو عن الناس ويحسن إلى المسىء منهم.. وفى ذلك فليتنافس المتنافسون.

«المتحدث الصغير»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد

فإن من الناس من يستغل رئاسته فى قومه، وتحدثه بلسانهم، وتقديمهم له فى الدفاع عن حقوقهم، فيسعى إلى مصلحة يحققها لنفسه، وإلى مغنم يستأثر به دونهم ويتخذ من ثقتهم فيه وسيلة لقضاء مصالحه ومصالح من يعولهم من أولاده وأهل قرابته، وهذا مسلك شائن يتنافى مع الأمانة، ويبتعد عن مكارم الأخلاق التى بعث رسول الله ﷺ لإتمامها، فقد قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ومن ولى مصالح قوم فصرفها إلى نفسه وأهله كان غاشا لهم مضيعا لحقوقهم خائنا للأمانة التى ائتمنوه عليها. وقد قال رسول الله ﷺ فى شأن هؤلاء: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» متفق عليه. فإذا أضفنا إلى هذا الحديث قوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» عرفنا أن الرعاية تكون على كل المستويات ولا يسلم من مسئوليتها إلا من قام بحقها من النصح والاجتهاد فى مصالح من جعلهم الله تحت رعايته.

ونسوق فى هذا المجال حادثة يظهر فيها حرص المتحدث بلسان القوم على تحقيق الخير لهم وألا يختص بشىء من دونهم.. فقد قحطت البادية فى أيام هشام بن عبدالملك فقدمت القبائل إلى هشام ودخلوا عليه وفيهم «درواس بن حبيب» وعمره أربع عشرة سنة فوقعت عين هشام عليه فاستصغره وقال لحاجبه: ما يشاء أحد أن يصل إلىّ إلا وصل!! فعلم

« درواس » أنه يقصده. فقال يا أمير المؤمنين إن دخولى لم يخلّ بك شيئا ولقد شرفنى، وإن هؤلاء أحجموا عن الكلام، ولا يعرف الكلام إلا بنشره. قال هشام: فانشر لا أبا لك!! فقال: يا أمير المؤمنين، أصابتنا ثلاث سنين، فسنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة نقت العظم. وفى أيديكم فضول أموال، إن كانت لله ففرقوها على عباد الله المستحقين لها. وإن كانت لعباد الله فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزى المتصدقين. فقال هشام ما ترك الغلام فى واحدة من الثلاث عذرا، ثم أمر لأهل باديته بعطاء يكفيهم وأمر للغلام بمثله. فقال: يا أمير المؤمنين ردها على أهل باديتى، فما لى من حاجة دون عامة المسلمين. فأعجب هشام بفصاحة هذا الصغير وأمانته وحبه لقومه.
وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: « المرء بأصغريه قلبه ولسانه ».

الخـاتمـــة

وبعد فإن الإسلام الحنيف صاغ أتباعه صياغة ربانية بكتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ وكان رسول الله ﷺ هو التطبيق الحى لتعاليم هذا الدين فى إيمانه وسمو أخلاقه وحسن معاملاته على كل المستويات حتى غدت الفضائل والمكرمات حية تتحرك أمام الناظرين يرونها واضحة فيمن قال الله فيه : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾ وقد كانت حياة رسول الله ﷺ فى كل أبعادها قدوة طيبة أثرت تأثيرا حسنا فى أهل بيته وصحابته ومن تبعهم من المؤمنين، وحدثنا التاريخ عن المواقف الإسلامية التى صدرت عنهم شاهدة بالتغيير الكبير والتحول العظيم والنقلة الهائلة التى أحدثها دين الإسلام فى القلوب والأفكار والأعمال والأخلاق.

وإننا إذ نقدم هذه النماذج العظيمة من المواقف الإسلامية للرسول الكريم وآل بيته وصحبه والتابعين لهم بإحسان نرجو أن نمهد الطريق أمام السالكين، ونزيل منه المعوقات والعقبات والانحناءات التى تفرقت ببعض المسلمين عن صراط الله المستقيم.

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم نافعا عباده المؤمنين، فإنه أعظم مسئول وأكرم مأمول.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د. عبدالرحمن العدوى

دليل الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع : ٩٩/١٧١٤٤

الترقيم الدولى : I.S.B.N.
977-315-032-1